جامعـــــــــة حمـــــــــــــــــــــاة

كلية الآداب والعلوم والإنسانية

قســـــم اللغــــة العربيــــــــــــة

مقــــرر فقــــــه اللغـــــــــــــــة

محاضرات في فقه اللغة العربية

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد

**المقدمة :**

دأبت الجامعات السورية منذ نشأتها على العناية باللغة على العناية باللغة ، فكان أن خصصت لها مفردات عامة تسعى المقررات إلى مقاربة هذه المفردات وكانت الحصيلة تأليف كتب تدور في فلك هذه المفردات . ومفردات هذا المقرر تتناول مسائل عامة في اللغة العربية ؛ كالبحث في تاريخ اللغة وفي لهجاتها وفي حوافز الدراسة اللغوية ومصطلحاتها .كما تتناول مسائل خاصة في العربية ؛ من حديث عن الصوت من حيث إنتاجه وتصنيفه ومخارجه وصفاته .

كما تتناول ابحاثًا تتصل بالثراء في اللغة العربية من حيث مظاهره الكثيرة التي تتجلى في الاشتقاق الصغير منه والكبير ولأكبر والنحت. ونالت مظاهر الاتساع في اللغة حظها من العناية والدرس ؛ فكان الكلام على الترادف والمشترك اللفظي والأضداد . وكلُّ هذا الذي تقدم لا يخرج عن البحث في المستويات الأربعة للغة ، وهي :

* المستوى الصــوتي
* والمستوى الصرفي
* والمستوى التركيبي
* والمستـــوى الدلالي

ما أبغيه من هذه المحاضرات أن يجد الطالب فيها محفزًا على المحاكمة والتتبع والمضي شوطًا أبعد لمقاربة منظومة اللغة بوظيفتها الجليلة العظمى وهي تكوين العالم الإنساني .

**والله من وراء القصد**

**أ.د. عبد الفتاح محمد**

**المبحث الأول**

**المصطلحات الشّائعة في الدراسات اللغويَّة:**

1. **اللغة :**

لها تعريفات كثيرةٌ، منها : تعريف ابن جنّي الذي يقول : إنَّ اللُّغة أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . وقيل : هي ظاهرةٌ اجتماعيَّة ثقافيَّةٌ مُكتسبةٌ. وقِيل : هي أداة للتعبير والتفاهُم الإنساني. وفي المَوروث أنَّ أبا زيدٍ الأنصاريّ كانَ أحفَظَ النَّاس للُّغة؛ والمقصود هنا المُفردات ومجموع دلالاتها. أمَّا المُحدَثُون: فيُعرِّفونَ اللُّغة بأنَّها في جوهرِها نظامٌ منَ الرّموزِ الصَّوتيّة، أو مجموعةٌ منَ الصُّور اللَّفظيَّة تُختزَنُ في أذهانِ الحاملِ الاجتماعيِّ للُّغة، وتُستخدَمُ وسيلةً للتَّفاهُم بينَ أبناء مجتمعٍ معيَّن، ويتلقَّاها الفردُ عنِ الجماعة عن طريقِ السَّماع.

1. **فقه اللغة :**

الفقه **لُغةً**: هو العلمُ بالشَّيءِ والفهمُ لهُ. و**اصطلاحاً**: هو التوصُّل إلى علم غائب بعلِمٍ شاهِد، فهوَ أخَصُّ منَ العلمِ، وقد غلبَ على الشَّريعة لِسيادَتها وفضلِها، فقِيل: الفِقهُ: عِلمٌ بالأحكامِ الشَّرعيَّة. وفقهُ اللغة : هو ما تناوَلَ العربيَّةَ الفُصحى من حيثُ : قواعدُها. وتاريخُ أدبِها. ونقدُ نصوصِهَا. وقد ظهرَ هذا المصطلح في القرنِ الرَّابعِ الهجريّ في كتاب ((الصَّاحِبيّ)) لأحمَد بن فارِس، وجاءَ بعدَهُ (ابو منصورٍ الثَّعالبيّ ت 449هـ) فسمَّى كتابَهُ : (فقه اللُّغة).

1. **علم اللغة :**

العلم : إدراكُ الشيءِ بحقيقتهِ، وهو نظريٌّ وعمليّ، وعقليٌّ وسمعيّ، والإعلام: اختصَّ بالأخبارِ السّريعة ، والتعليم: اختصَّ بما يكونُ بتكرير وتكثير حتّى يحصل منهُ أثرٌ في نفسِ المتكلِّم. وعلمُ اللُّغة اصطلاحاً: دراسةُ اللغةِ على نحوٍ علميّ. وقيل: دراسةُ الألفاظ مُصنَّفةً في موضوعات مع بحثِ دلالاتِها.

1. **الفرق بينَ فقه اللغة وعلم اللغة :**

إنَّ اصطلاح فقه اللغة سابقٌ زمنيّاً لاصطلاحِ علمِ اللغة. وميدان فقه اللغة أوسعُ وأشمَلُ؛ لأنَّ ميدانَهُ الحضارة والأدب والبحث عن الحياة العقليَّة، وميدانُ علم اللُّغة هو العنايةُ بالتحليلِ والتَّركيب للُّغاتِ معَ وصفِها. وعلمَ اللُّغة اتَّصفَ منذُ نشأتهِ بأنَّهُ علمٌ، ولم يصِف أهلُ اللغةِ الفقهَ بأنَّهُ عِلم . وعملَ فُقهاء اللُّغة تاريخيٌّ مُقارَن في أغلبهِ، أمَّا عملُ عِلمِ اللُّغة فوصفيٌّ تقريريّ.

1. **منهجُ فقهِ اللُّغة :**

هو منهجٌ للبحث، استقرائيٌّ وصفيّ يُعرَضُ فيه مواطنُ اللغة وفصيلتها وصلتها بغيرها منَ

اللغات القريبة منها أو البعيدة، وخصائص أصواتها، وعناصر لهجاتها، وتطوُّر دلالاتها، ومدى

كفايتها، وضرورة الإفادة منَ الإلمامِ باللغات السَّاميَّة.

1. **منهج علم اللغة :**

هو دراسةُ اللغة في ذاتها ومن أجلِ ذاتِهَا، بينما الفقه يدرسُ اللغةَ بوصفِهَا وسيلةً، وعِلمُ اللُّغة يدرُسُها بوصفِها غايةً في حدِّ ذاتِها. وهذا المنهجُ يُعنَى بالمنطوق أكثر من عنايتهِ بالمكتوب.

1. **اللَّهجة :**

هي مجموعة الصِّفات اللُّغويَّة التي تنتمي إلى بيئة مُعيَّنة، ويشتركُ أفرادُ اللُّغةِ في جميعِ هذهِ الصِّفات، ويُرادُ بها في الموروث (اللُّغة). ومنَ اللَّهجات القديمَة: ( لُغةُ الحِجاز، ولُغةُ تَميم، و لُغةُ طَيِّئ، لُغةُ هُذَيل ).

1. **عُلومٌ رافِدَة :**

ثمَّةَ علومٌ تُفيدُ في مُقاربَةِ فقهِ اللُّغة، ومنها :

1. عِلمُ التَّاريخ : وهوَ يُفيدُ في:

* معرفةِ مواطنِ القبيلةِ وانتقالِهَا وأنسابِهَا.
* معرفةِ رَوابط القُربى بينَ اللُّغاتِ، وفي انتمائِها إلى فصيلَة مُعيَّنة ((الحَامِيَّة والسَّاميَّة)).
* معرفةِ تنوُّعِ لهجاتِهَا.

1. علمُ الصَّوت: وقد مرَّ أنَّ اللُّغةَ أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهِم.. والصَّوت: وحدةٌ من وحداتِ الكلامِ الإنسانيّ. وللأصواتِ: مَدرَجُها، ومخارِجُها، وصِفاتُها. وللصَّوتِ تصنيفاتٌ كثيرةٌ: ((كعلمِ الأصواتِ الآليّ، وعِلمِ الأصواتِ التَّركيبيّ، وعِلمِ الأصواتِ السَّمعيّ، وعلمِ الأصواتِ العام)). وقد قطعَ علمُ الأصوات شوطاً بعيداً بإفادتهِ منَ المختبرات الحديثة المتطورة التي تَقِيسُ زمنَ الصَّوت وشدَّتَهُ ، وتُحدِّد مخرجَهُ.
2. **عِلمُ الدّلالة :**

هو العِلمُ الذي يبحثُ في المعنى ونظريَّاتهِ. وقِيل : هوَ العِلمُ الذي يستخدمُ المُفرداتِ استخداماً مُعيَّناً ضمنَ نسَقٍ لغويٍّ معَ مُفرداتٍ أُخرى.

**المبحث الثاني**

**التأليف في فقه اللغة**

**المقدّمة :**

صنَّفَ عددٌ من أهلِ اللُّغة مُصنّفاتٍ كثيرةً تناولَت مَباحثَ في فقهِ اللغةِ، أو تناولَت موضوعاً واحداً في كتابٍ أو رسالةٍ ، وفيما يأتي عَرضٌ لأبرزِهَا :

أولاً - **مباحِثُ الأصمعيّ في الاشتقاق** :

هو أبو سَعيد عَبدُ المَلِك بن قُرَيب الأصمعيّ. وكانَ أعلمَ النَّاسِ بالشِّعر، وأتقنَهُم لُغةً، وأحضرَهُم حِفظاً .لا يُعرَفُ مِثلُهُ في كثرةِ الرِّواية، لهُ كتابٌ في (الخَيل)، وكتابٌ في (الشَّاة)، وكِتابُ (الفرق) ، أمَّا كتاب (الاشتقاق) فقد نُشِرَ في بغداد عام (1960)، ومباحثُهُ وخصوصاً في الاشتقاق. هيَ مُلاحظاتٌ عامّةٌ اتَّسعَ فيها القولُ فيما بَعدُ، ومنهُ :

* الغِطرِيف: السَّري، السَّخي، وغَطَارِف: سراة.
* زَهْدَم : اسم من أسماءِ الصَّقر.
* وَكِيع: مِثل وَثِيق، شَديد.
* جَعفَر: النَّهر الصَّغير.

**ثانياً - كتابُ الخصائص :**

لأبي الفَتح عُثمان بن جنِّي (ت 392هـ). ، وهوَ فقيهٌ عَبقريّ ، ناقشَ أبحاثاً خطيرةً. وكتابُه (الخصائص) أحد أشهر كتُب فقه اللُّغة وفلسفتها، وأسرار العربيّة ودقائقِها. يَقول عنهُ :

**"إنَّهُ من أشرَفِ ما صُنِّفَ في عِلمِ العربيَّةِ، وأذهبُهُ في طَريقِ القياسِ والنَّظَر...وأجمَعِهِ للأدلَّة على ما أَوْدَعَتْهُ هذهِ اللغة ".**

ومنَ القضايا التي عُرِضَ لها:

* بُنيةُ اللغةِ وفِقهُهَا.
* أصلُ اللُّغة (إلهام أم مُوَاضَعَة).
* أصولُ اللغة (القياس، الاستحسان، العِلَل).
* الحقيقة والمجاز.
* التَّقديم والتأخير.
* الأصول والفرُوع.

وقد فتحَ ابنُ جنِّيّ في هذا الكتاب أبواباً جديدةً في اللغةِ ودراستِهَا.

**ثالثاً - كتاب الصاحبيّ (لأحمد بن فارس) ( ت 395 ) :**

جاءَت تسميةُ الكتاب نسبةً إلى الصّاحبِ بنِ عَبَّاد ( ت385 هـ) . ومن مباحثِ الكتاب :

* + اللغةُ العربيّةُ، أوَّليَّتُها ونشأتُها.
  + أساليبُ العرَبِ في تخاطُبِهم.
  + الحقيقةُ والمجاز.
  + أصلُ اللغة.
  + اختلافُ لُغاتِ العرَب.

وموضوعاتُه: قريبةٌ ممَّا جاءَ في الخصائص. وعباراتُهُ أكثرُ سهولةً ويُسراً مُقارنةً (بالخصائص) الذي مالَ صاحبُهُ إلى التَّفاصُح .

**رابعاً - كتاب فقه اللغة (لأبي منصور الثعالبي)، (ت ٤٢٩ هـ) :**

هو من أئمَّةِ اللُّغةِ والأدب، كانَ أديباً فاضِلاً بليغاً فَصيحاً ، وأصلُ الكتاب: (كتابان) : الأول : (فقهُ اللغة ) ، والثاني: (سِرُّ العربيَّة) ، ثمَّ جمعَ بينهُما في كتابٍ واحد عُنوانُهُ (فقهُ اللغةِ وسِرُّ العربيَّة ) .

أما **(فقهُ اللغة)** ، فيضمُّ ثلاثينَ باباً ؛ أوَّلُها بابُ الكُلِّيَّات، وآخِرُها وهو البابُ الثلاثون (في فنونِ الترتيبِ في الأسماءِ والأفعالِ والصفات)، وقد جمعَ في كلِّ بابٍ مُفرداتٍ لغويَّةً تدلُّ على : ((أجزائهِ، أو أقسامِهِ، أو أطوَالِهِ، أو أحوالِهِ )).

وأمَّا **((سِرُّ العربيّة))** ، فهو فصولٌ كثيرةٌ غيرُ مُبَوَّبَةٍ تناولَ فيها مسائلَ في اللغةِ وعلومِها، ونقلَ مُعظمَ بحوثهِ عن كتاب ((الصَّاحِبيٍ )).

**خامساً – كتاب المُخصَّص: لأبي الحَسَن عَليّ بنِ سِيدَه، (ت ٤٥٨ هـ ) :**

هو مِن أجوَدِ معَاجِمِ المعاني تَصنيفاً، وأوعَبِها مادّةً. بدأَهُ بالكلامِ على شرَفِ اللغةِ، وأهميَّتِهَا، وأصلِها، وسمَّى عدداً منَ المصادِرِ التي أفادَ منها، وذكرَ ما اتَّسَمَ بهِ المُعجَمُ من مزَايا، رتَّبَهُ وفقَ الكتُبِ، منها :

* ((كتابُ خَلق الإنسان))،
* و((كتابُ النِّساء))،
* و((كتابُ اللِّباس))،
* و((كتابُ الطعام))،
* و ((كتابُ الخَيل)).....

ولعلَّ مادَّتَهُ الغزيرةَ غلبَت على المؤلِّفِ، فلم يتمكَّنَ من تنظيمِها بدقَّةٍ وإحكام . ومنَ البحوثِ المتعلِّقةِ بالعربيَّةِ فيه :

((التَّرادُفُ – والتَّضادُّ – والاشتراك – و الاشتقاقُ)).

وهذا السِّفرُ الضَّخمُ كانَ مَدَاراً لرسائلَ جامعيَّةٍ كثيرة.

**سادِساً - المُعَرَّبُ منَ الكلامِ الأعجميّ :**

صاحبُهُ أبو منصور مَوهوب بنُ أحمَد الجواليقي ( ت540 هـ ). ذكرَ فيهِ ما تكلَّمَت بهِ العرَبُ منَ الكلامِ الأعجميّ ووردَ في القرآنِ الكريمِ ، وفي أخبار رسولِ الله . والفائدةُ الجليلةُ له أن يُحترَسَ منهُ في الاشتقاق.، فلا يُجعَلُ المُعرَّبُ من أصولِ كلامِ العرَبِ، وقد بَذَلَ العلَّامةُ "أحمد شاكر" جهوداً طيِّبةً في تحقيقِ الكتاب ، فراجَعَ الكلماتِ المُعرَّبَةَ في مَظانِّها، وأيَّدَ المؤلِّفَ أو عارضَهُ ، وتدارَكَ ما فاتَ المؤلِّفَ أحياناً، وناقشَ المؤلِّفَ في دَعوى العُجمَةِ حينَ يَخذُلُها الدَّليل .

**سابعاً – كتاب المُزهِر في علومِ اللغةِ وأنواعِهَا :**

(لجلال الدِّين السِّيوطيّ)، (ت 911هـ) : وهو كتابٌ لغويٌّ أدبيّ، وقد ضمَّ خمسينَ نوعاً أو علماً من علومِ العربيَّةِ :

* + ثمانيةٌ منها راجعةٌ إلى اللغةِ من حيثُ إسنادُها.
  + ثلاثة عشَر منها راجعةٌ إلى اللغةِ من حيثُ المعنى.
  + خمسةٌ منها راجعةٌ إلى اللغةِ من حيثُ لطائِفُها ومُلَحُهَا.
  + نوعٌ واحدٌ راجعٌ إلى حِفظِ اللغةِ.
  + ثمانيةٌ راجعةٌ إلى رِجالِ اللغةِ ورُواتِها.
  + نوعٌ واحدٌ في معرفةِ الشِّعرِ والشُّعراء.
  + نوعٌ واحدٌ في معرفةِ أغلاطِ العرَب.

وهذا الكتابُ يحملُ قيمةً فكريَّةً علميَّةً تاريخيّةً لِجَعلِ القارئِ يحقِّقُ المُتعةَ والفائدةَ. وقد حَفِلَ الكتابُ بشواهدَ شعريَّةٍ ونَثريَّةٍ.

**المبحث الثالث**

**اللغة وظائفها والبحث فيها**

**أولاً - وظائف اللغة :**

تؤدِّي اللغةُ دوراً مهمّاً في عمليّة التفكير والنموّ المعرفيّ، ومن وظائفِها :

1. أنّها تمكِّن الإنسان من الاتِّصال بأخيه الإنسان.
2. وهي آلةٌ للتحليلِ والتّركيب.
3. وهي سلسلةٌ من الإشارات الإدراكيّة.
4. وهي قيمةٌ تنبيهيّةٌ وتعبيريَّةٌ وتأثيريّة واستكشافيّة وإخباريّة ورمزيّة واجتماعيّة وجماليّة. ( وقد أُفردت الوظيفة التنبيهية ببحث تطبيقي يأتي لاحقًا )

**ثانياً – وظائفُ اللغويّ:**

عمدَ السَّلفُ الصَّالحُ من أهلِ اللغةِ إلى العنايةِ بالعربية وفقَ منهجٍ هو: ((وصفُ الحقائقِ لا فَرضُ القواعدِ))، وقد ظهرَ ذلكَ في :

1. جمعِ اللغةِ منَ الناطقينَ بها؛ وذلكَ بالذَّهابِ إليهم واللقاءِ بهم، وتسجيلِ ذلكَ عنهُم وشَرطَوا في الراوي أنّهُ ممَّن تُرضَى عربيَّتُه.
2. وتسجلها ورِوايتِها مع الحِرصِ على السَّلامة فيها.
3. ودراستِها.
4. واستقرائِهَا.

**ثالثاً – تجديدُ البحثِ في فقهِ اللغةِ :**

* لقد غدَا عُرفُ أهلِ اللغةِ أنَّ المنهجَ المفيد في فقهِ اللغةِ هو المنهجُ الوصفيُّ الاستقرائيُّ الذي يقرِّرُ أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ إنسانيَّةٌ اجتماعيَّةٌ تحملُ خصائصَ المجتمعِ.
* ففي المجتمعِ الصَّحراوي تشيعُ مفرداتٌ كثيرةٌ دالَّةٌ على هذهِ البيئة، فقد أُحصِيَ للجَمَلِ وشُؤونهِ ما يزيدُ على خمسةِ آلافِ كلمةٍ.
* وهذا المنهجُ يُفيدُ أنَّ قيمةَ الأصواتِ والمُفرداتِ تأتي من تعارفِ المجتمعِ عليها، وفوقَ هذا فاللغةُ تعبِّرُ عنِ الفِكرِ، وهي أداةٌ نَمائِهِ.
* وفي مَراحلَ منَ التاريخِ سَعَى بعضُ أهلِ العلمِ إلى تأويلِ نشأةِ اللغةِ على نَحوٍ ساذَج عندما أوشكَ بعضُهم على الجَزم بأنَّ العبريَّة هيَ اللغةُ الأمّ ، وليسَ لهذا منَ الحقيقةِ نصيبٌ.

**رابعاً – ملامحُ تجديدِ البحثِ في فقهِ اللغةِ :**

* ثمَّةَ نقاطٌ تُفيدُ في التجديدِ في فقهِ اللغةِ، والتجديدُ من أكثرِ القوانينِ أهميَّةً وحضوراً، منها :

1. عدمُ الحديثِ عن أصلِ اللغةِ الغامضِ المجهول، إلَّا إذا توافَرَ الدّليل الذي يُفيد في الحديث عن الأصل.
2. عدمُ اللجوءِ إلى كثرةِ التعليل، وخصوصاً العلل الثَّواني والثَّوالث.
3. مُتابعةُ التطوُّر اللّغويّ والسَّعيُ إلى معرفةِ سُبُلِهِ، كالكلامِ على الخفَّة والثِّقَل، وعلى الاقتصاد في الجهد، نحوَ: ((إِيْشذا))، وأصلُها: أيُّ شيءٍ هذا.
4. جمعُ ما يُمكنُ جمعُهُ منَ المعلوماتِ عن اللُّغاتِ الإنسانيَّةِ، ولا سيَّما العربيَّة.
5. استنباطُ السُّنَنِ والقوانينِ العامَّةِ التي تُفسِّرُ اللُّغاتِ، معَ أنَّ غيابَ نُقطةِ البَدءِ لكثيرٍ منَ اللُّغاتِ تجعلُ الدَّارسَ في حيرةٍ، فبعضُ الشُّعوبِ المتوحِّشَة تتكلَّمُ بِلُغَةٍ على درجةٍ كبيرةٍ منَ التَّعقيد.
6. دراسةُ اللغةِ العربيَّةِ في ضوءِ اللُّغاتِ السَّاميّة، كما هيَ الحالُ في المعجَم الكبيرالذي لمْ يكتمِلْ بَعدُ، وقد أَفَادَ من خبراتِ أهلِ التخصُّصِ في اللُّغاتِ السَّاميّة عندَ إعدادِهِ.
7. العملُ على الاطِّلاعِ على الفصائلِ الإنسانيّة للُّغات.
8. ضرورةُ دراسةِ اللَّهجاتِ العربيَّةِ القديمةِ لمعرفةِ إسهامِهَا في اللُّغةِ العربيَّة.

**خامساً - أشهرُ فصائلِ اللُّغات:**

تُفيدُ بعضُ التَّقارير أنَّ عددَ اللُّغاتِ يبلغُ ((3000 لُغةً))، ولا يدخلُ فيها اللَّهجات، وبعضُ هذهِ اللُّغات يَزيدُ النّاطقُونَ بها على ((خمسينَ مليوناً))، كما في ((العربيَّةِ، والإنجليزيَّةِ، والصِّينيَّة، والفرنسيَّةِ، والإسبانيَّة))، وهذهِ منَ اللُّغاتِ الرئيسية من حيثُ انتِشَارُهَا.

أبرَزُ تصنيفِ للفصائل مَا جاءَ بهِ ((مولر)) الألماني، فقد قسَّمَها إلى فصائلَ ثلاث :

1. الفصيلة الهنديّة الأوروبيَّة.
2. الفصيلَة الحاميَّة السَّاميَّة.
3. الفصيلة الطّورانيّة.

وقد جاءَ التَّصنيف بناءً على صِلاتِ القُربى، وهي التَّشابُهُ في الكلماتِ وقواعدِ البُنيةِ والتَّراكيب، فاللُّغاتُ التي تنتمي إلى فصيلَةٍ واحدةٍ تشتملُ على عناصرَ قديمةٍ مُشتركَةٍ، منها :

* ((الضمائِر، والأعداد، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة)).
* والاشتراكُ في معانٍ كثيرةٍ منَ الكلمات ذواتِ الدَّلالةِ القديمةِ ((كالأرض، والسَّماء، وألقاب الأُسَر، والأمّ ، والأب، والأخ...)).
* وبالإضافةِ إلى العناصِر القديمةِ المُشتركَةِ أيضاً : ((أدواتُ الرَّبطِ بينَ أجزاءِ الجُمَل – والاشتراك العام في بناء الجُمَل)).

**أولاً – الفصيلة الهندية الأوروبية:**

وهي كثيرة الانتشار.. ، والشعوب الناطقة بها لها أثرٌ في الحضارةِ الإنسانيَّة.. ، واللُّغاتُ الحيَّةُ فيها نحوَ ((96 لغةً)). ومن هذه اللُّغات :

* السنسكريتيّة، واللُّغات الهنديّة.
* الفارسيّة القديمة.
* اللُّغات الألبانيّة.
* اللُّغات الإيطاليّة.

**مجموعة اللغات الإيطاليّة :**

* ومنها اللغات اللاتينيّة والإنكليزيّة .
* ويرجعُ الفضلُ في انتشارِ هذهِ اللُّغات إلى عوامل كثيرة أبرزُها ((الغزو الاستعماري)).

**ثانياً – الفصيلة الحاميّة السَّاميَّة:**

* أمَّا التَّسمية فهي نسبة إلى ((سَام بن نُوح))..
* وقد أطلقَ هذهِ التسمية المستشرِق ((شلوتزر)) عام 1781م.
* وهذا الاسم ذُو نزعة تَوراتيّة.

**أقسامُ اللُّغات السّاميَّة:**

1. الشماليّة: وفيها : ((الأكَّاديَّة، أو الآشوريَّة ، أو البابليَّة ، والفينيقيَّة ، والآراميَّة)).
2. اللُّغات السَّاميَّة الجنوبيَّة: وتشمل ((اليمنيَّة القديمة، واللُّغات الساميَّة الحبشيّة)).

وأمَّا **الحاميَّة** فتشمل:

1. الحاميَّة الشَّرقيَّة : ومنها ((الصُّوماليَّة)).
2. والحاميَّة الشماليَّة: وفيها ((المصريَّة القديمة، والقبطيَّة، والبربريّة )): لُغةُ السُّكَّان الأصليين في ((تونس، والجزائر، مراكش)).

**تصنيفٌ آخر للُّغات :**

* عمدَ ((شليغل)) إلى تصنيف آخر لا يعتمد صلات القُربى، وإنَّما يعتمد قوانينَ التطوُّر.
* وقد ذكرَ أنَّ اللُّغات بدأت عازِلَةً ، ثمَّ أصبحَت إلصاقيَّةً ، ثمَّ ارتقَت إلى التحليليَّة.

اللُّغات **العازِلة** من سِمَاتِهَا :

البُنية فيها لا تتغيَّر ولا تتصرَّف. ولا يُوجَدُ بينَ أجزائها رَوابِط. ولا تلتصِقُ بها حروفٌ زائدة.

من لُغاتها الصينيَّة ، وبعضُ اللُّغات البدائيَّة.

اللُّغات **الإلصاقيَّة** : ومن سِماتِها :

تشتمل على سوابق ولواحِق . ويتغيَّر المعنى عندَ الاتِّصال. وأشهرُ لغاتِهَا: اليابانيَّة.

اللُّغات **التحليليّة** : ومن سِماتها:

أنَّها تتصرَّف ،و يتغيَّر معناها ،و تُحَلَّلُ أجزاؤها ، ومنها اللُّغاتُ السَّاميَّة، ولا سيَّما اللغة العربيَّة.

**المبحث الرابع**

**نبذة عن اللُّغات السَّاميَّة:**

* السَّاميُّون هم الشُّعوب :

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **الآراميَّة** | **الفينيقيّة** | **العبريّة** | **العربيّة الجنوبيّة** | **اليمنيّة القديمة** | **الآشوريّة (الأكَّاديّة)** | **الحبشيّة** |

تتميَّزُ اللُّغاتُ السَّاميَّة :

1. بكونها من أوَّلِ اللُّغات التي استعملَت الأبجديَّة في كتاباتها، ومنها انتقلَت الأبجديَّةُ إلى لُغاتِ العالَمِ كُلِّهِ.
2. أوَّل مَنْ أطلقَ تسمية اللُّغات السَّاميَّة هو الألماني ((شلوتزر))، وتابَعَهُ آخَرون.

**خصائص اللُّغات السَّاميَّة :**

1. أصولُ كلماتِهَا ثُلاثيَّة غالباً.
2. وقد وُجِدَ فيها بعضُ الأصول الثُّنائيَّة: ((أب،، أم، أخ، عَم))، وهي مرحلةٌ قُدمى تطوَّرَت الكلمات بعدَها إلى ثلاثيَّة.
3. العددُ في اللغات السَّاميَّة مُفردٌ ومثنَّى وجَمع، وقد فُقِدَ المثنَّى في كثيرٍ منَ اللُّغات الساميَّة، واحتفظَت بهِ اللغةُ العربيَّة.
4. القائلونَ بالأصلِ الثُّلاثي يردُّونَ الرُّباعي إلى الثُّلاثي.
5. اللُّغاتُ السَّاميَّة تدلُّ على المعنى بحروفِ المَبَاني، وتُفرِّق بينَ المعاني المُتكافئة بحرُوفِ المعاني، مثال: ((م، ل، ك)) حُروفُ مَبَانٍ : مَلِكٌ: الفتحة، والكسرة، والتنوين ((حُروفُ مَعَانٍ )).
6. اللُّغاتُ السَّاميَّة تكادُ تخلُو منَ الأسماءِ المُركَّبةِ تركيباً مزجيّاً، إلَّا في ألفاظِ العددِ، نحو: ((خمسةَ عشرَ طالباً)).
7. تتشابهُ في الضَّمائرِ وفي طريقةِ اتِّصالِها بالأسماء، وفي الأفعال، والحروف، وفي صَوغِ الجُمَلِ وتركيبِها.
8. تتشابَهُ في كثيرٍ من دلالاتِ المُفرداتِ الأساسيَّة المُشتركَة كما في :

* مُفردات الجسَد ((رأس، عَين، يَد )).
* مُفردات النَّبات والحَيوان ((سُنبُلَة، كَلبٌ، ذِئبٌ)).
* الأعداد الأساسيَّة ((من اثنَين حتّى عشرة)).
* حرُوف الجرّ الأساسيّة ((من، عَن، في)).

1. تتَّصِف اللُّغات السَّاميَّة باحتوائِهَا على حرُوفِ الحَلق ((الهمزة، الهاء، العَين، الحاء، الغَين، الخاء))، وحُروفُ الإطباق ((الصاد، الضَّاد، الطاء، الظاء)).

10 - ظاهرةُ الإعراب هي ظاهرة ساميَّة قديمَة وُجِدَت في النّقوش الأكَّاديَّة.

شجرةُ اللُّغات السَّاميَّة:

تُقسَم اللُّغات السَّاميَّة إلى شرقيَّة وغربيَّة :

فأمَّا الشَّرقيَّة، فهي: ((البابليَّة ، وتسمى الآشوريَّة، والأكَّاديَّة أيضًا ))، ويُعتقَد بأنَّ قبائلَ عربيَّةً تدفَّقَت إلى المنطقة منذُ الألف الثالِث قبلَ الميلاد. وأمَّا الغربيَّة ، فهي: ((شماليَّة وجنوبيَّة)):

الشَّماليَّة : هي الكنعانيَّة ، والآراميَّة، وهي قبائل نزحَت من الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربيَّة، واستوطنَت في فلسطين وسوريَّة وبعض جزُر المتوسِّط نحوَ ((200 ق.م)).

**ومن لهجاتها :**

1. **الأوغاريتيَّة :** وهي أقدمُ لهجاتِ المجموعةِ وأشهرُها، اكتُشِفَت نقوشُها سنة ((1926م))، ويعودُ تاريخُ نقوشِها إلى القرن ((14ق.م))، وعنها أخذ العالَم الأبجديّة .
2. **الفينيقيَّة :** وهي لغةُ الساحل الشَّرقي للمتوسِّط، وهي قريبة جدّاً منَ العربيّة، وصلَت إلينا عن طريق ((النُّقوش، والنُّقود، والأوراد ))، وعُثِرَ على آثارِهَا في جُبيلٍ من لُبنان، ومن لهجاتها ((البُونيَّة ))، وقد عُرِفَت في قرطَاج . أهلُ هذه اللهجة منَ التُّجَّارِ الذينَ جَابُوا المتوسِّط، واستمرَّت حتَّى القرن الخامس الميلادي .
3. **العِبريَّة :** وهي أبرزُ لهجاتِ الكنعانيَّة ، ويرجعُ تاريخُها إلى نحوِ ((أربعة آلاف عام))، وقد مرَّت بأحوالٍ، فتارةً تبلغُ أوجَ ازدِهَارِهَا، وتارَةً تندَثِر، وأحياناً تَموت، ففي القرنِ العاشرِ قبلَ المِيلاد كانَت العِبريَّة التوراتيَّةُ هي اللُّغةُ الرَّسميَّةُ والدِّينيَّةُ الشَّائعةُ، وكانَت تتَّسِمُ بالنَّقاءِ والبُعدِ عن المؤثِّراتِ الأجنبيَّة، وقد دُوِّنَتْ بها أسفارُ العَهدِ القديم، ونُقُوشُها اكتُشِفَتْ على الصّخورِ وَفيما جاءَ مِنْ أورَادٍ، وقد امتدَّت هذهِ من ((973 ق.م)) حتَّى السَّبِي البَابِلي عام ((586 ق.م))..

وتدهوَرَت العِبريَّةُ منذُ السَّبي، وبدأتْ تنقَرِضُ، وأخذَت الآراميَّةُ تحلُّ مكانَها شَيئاً فشَيئاً. وقد حاولَ بعضُ رِجَالِ الدِّين منَ اليَهود شَرحَ العَهدِ القَديمِ وتفسيرهِ باللُّغةِ الآراميَّة، فكتَبُوا ((الـمَـشـنا، والتّلموذ))، وكانَت هذهِ الكتُب مختلفةً تماماً في أساليبِها وألفاظِها عن عبريَّةِ العَهدِ القَديم. والعِبريَّةُ في العَصرِ الحَديث أَمْشَاجٌ مِنْ لُغاتٍ شتَّى، وقد ظهرَ أدبٌ جديدٌ عِلمانيٌّ مكتوبٌ بِلُغةِ العَهدِ القدِيم .

**العَربيَّة الجنوبيَّة، والعربيَّة الشَّماليَّة :**

**أولاً - العَربيَّة الجنوبيَّة :**

* وتُسمَّى أحياناً ((اليَمنِيَّة القَديمَة، أو القحطانيَّة، أو السَّبَئِيَّة)) نسبةً إلى بعضِ لَهجَاتِهَا.
* عُرِفَت العربيَّةُ الجنوبيَّة من خِلالِ النّقوشِ المُدَوَّنَة على التَّماثيل والقبُور والأعمدَة والصُّخور والمذَابِح، وجُدران الهَياكِل، والنُّقود.
* والعربيَّةُ الجنوبيَّة تختلِفُ عنِ العربيَّةِ الشَّماليَّة، ولا سيَّما في القَواعِد والظَّواهِر الصَّوتيَّة والدّلاليَّة.

**أهمُّ لهجاتِهَا :**

1. **السَّبَئِيَّة :**

هي اللَّهجةُ المَنسُوبَةُ إلى السَّبَئِيين الذين أقَامُوا مَملكتَهُم على أنقَاضِ المملكَةِ المَعِينيَّة، وتُعَدُّ هذهِ المملكَة ((السَّبَئِيَّة)) مِن أشهَرِ الممَالِك في التَّارِيخ. وكانَ لها نفوذ اقتصادِي وسِياسي قبلَ أنْ تتدَاعَى في ((القَرن الرَّابع ق.م)) على أيدِي الأحبَاش. وبلَغَت هذهِ اللَّهجَة نُضجَهَا في ((القَرنِ الخامسِ ق.م))، وكانَت ((مَأرِب)) عاصِمةً لهُم. واسمُها القديم "مريب", ومن ملوكهم "بلقيس" وهذا الاسم صفة على الأغلب, ومعناهُ العشيقة.

خصائص لهجاتها :

1. استعمال السِّين في التَّعدِيَة ((سَفْعَلَ = أَفعَلَ)).
2. الضَّمائِر تبدأ بـ ((الهاء))، وفي المَعِينِيَّة بـ ((السِّين)).
3. الفعلُ المضارع كانَ ينتهي بحرف ((النّون)).
4. يُستخدَمُ حَرفُ ((الكاف)) في الرَّبط.

ومن آلهتِهِم: ((مقه)) ، ولقبه عندهم ( سيد الأرض )، أي أنه كان مسؤولا عن نماء الأرض في اعتقادهم ، وتظهره الرسوم على شكل ثور برأس إنسان .

1. **المَعِينِيَّة:**

هيَ مِنْ أقدَمِ اللَّهجات التي استُعمِلَت في شِبهِ الجزيرةِ العربيَّة، وذلكَ ما بين ((1200ق.م)) حتى ((100م)).وهي مَنسُوبةٌ إلى عاصِمَتِها ((مَعِيْن)). ومن خصائص هذه اللهجة:

* ((السِّين)) في التَّعدية، وكذلك ضمائر الغائب تبدأ بـ ((السِّين)) أيضاً..
* وتدلُّ ((الكاف)) على معنى ((إلى)) أو ((لأجلِ)).

أبجديَّتُها: ((28-29)) حرفاً، تُكتَب منَ اليمين إلى الشِّمَال، وخَطُّهَا هوَ المُسنَد، وهوَ من أقدمِ الخطوطِ السَّاميَّة. ومِن آلهتِهِم: ((ودّ)) ، وكان يرمز إلى القمر ، وإلى المحبة ، تصوره الرسوم على هيئة رجل ضخم ، وكانت السلالة الحاكمة في مملكة معين تعد أنفسها من سلالة ود .

1. **الحَضرَمِيَّة :**

وهي منسوبةٌ إلى ((حَضرَمَوت))، وهي مملكةٌ عظيمةٌ ذاتُ حضارةٍ زاهِرَة.. وعُرِفَت اللَّهجة

الحضرميَّة من خلالِ النُّقوشِ المكتوبةِ في النُّصوصِ القديمَة. أصواتُها: ((29))، وهي ذاتُ الأصواتِ الموجودةِ في السَّبئِيَّة، وكانَت ((سبَأ)) أقوى منها، فغلبَتها على أمرِهَا وأزالَتها منَ الوجُود.

**ثانياً - العربيَّة الشَّماليَّة :**

وهي قِسمَان: ((العربيَّة البائدة ، والعربيَّة البَاقِيَة)).

1. **العربيَّة البائدَة :** أهمُّ لهجاتِهَا ((الثَّموديَّة ، والصَّفويَّة، واللَّحيانيَّة)).
2. **الثَّموديَّة :**

وهي اللهجة المنسوبة إلى ((ثَمُود))، وقد جاءَ ذِكرُها في القُرآنِ الكريم ، وتعودُ النُّقوشُ إلى القرنَين ((الثالث والرَّابع الميلاديين )). وقد عُثِرَ على نقُوشِهَا في ((الحجاز، ونَجد، وسيناء، وقُربَ دِمَشق))، واستُعمِلَت فيها كلمات ليسَت مألوفةً في العربيَّة.

1. **الصَّفويَّة:**

وهي اللَّهجةُ المَنسوبةُ إلى منطقةِ ((الصَّفا))، وهي في ((تِلَال حَورَان)) في الجنوب الشَّرقي من دِمَشق، وتاريخُ نقُوشِهَا يَعُودُ إلى (( 1000 عام ق.م)) حتَّى ((400 م)).وقد كُتِبَت بالمُسنَد معَ تغيير قليل منهُ. واكتُشِفَت منها نحوَ ((ثلاثِينَ ألفَ)) نقشٍ، وهي قريبةٌ منَ العربيَّة الفُصحَى، ومن أفعالِهَا: ((ندمَ، تشوَّقَ، لَعَنَ، نَهَلَ))، ومن أسمائِهَا: ((فَرَسٌ، ثَلجٌ، قَبرٌ))، ومن أعلامِها: ((أُذَينَة، إليَاس، جَمال ، وَهْب، وَرْد)). وأداةُ التَّعريفِ فيها ((الهاء)). وتُظهِرُ النّقوشُ مَشاهِدَ الصَّيدِ والمَعَارِكِ والخُيول والإبِل.

1. **اللَّحيانيَّة :**

اتَّخذَت مملكَةُ لَحْيَان مِنَ ((الحجر)) عاصمةً لهَا، وذلكَ ما بَينَ ((900 ق.م)) حتَّى ((200ق.م)). والخطُّ اللَّحيانيُّ مُشتَقٌّ منَ المُسنَد، وعددُ حرُوفهِ ((28)) كما في العربيَّة. وقد قامَ الرَّحَّالةُ الإنجليزيّ ((تشارلز دواتي)) باستنسَاخِ النّقوشِ اللَّحيانيَّة . ولعلَّ أهمَّ الدِّراسات عن النُّقوشِ اللَّحيانيَّة رسالةُ الماجستير التي أعدَّها الطَّالبُ ((أبو الحسَن))، ونُشِرَت عام ((1977م))، وقد شملَت ((156)) نقشاً لَحيانيّاً.. وللتَّنوين حضورٌ في النّقوش اللَّحيانيَّة. ومن آلِهَتِهم: ((ذُو غيبة، وخرج))

**المبحث الخامس**

**العربيَّةُ الباقيةُ وأشهرُ لهجاتِهَا:**

وهي التي ما نزالُ نستخدمُها في الكتابةِ والتأليفِ والأدب، وصلَتنا عن طريقِ الشِّعرِ الجاهليّ، والقرآن الكريم، والحديث الشَّريف. وصَادَفَ نزولُ القرآنِ الكريم لُغةً مِثَاليَّةً مُصطَفاة، وقد كانَ لنزولِهِ أثرٌ كبيرٌ في العربيَّة، فقد كفلَ لها حِفظَها وانتشارَها، وقَوَّى أَثَرَهَا. وقد تحدَّى القرآنُ الكريمُ الخاصَّةَ من أهلِ العربيَّة أنْ يأتوا بمثلهِ أو بآياتهِ.

وهذا كلُّهُ لمْ يَنفِ وجودَ اللَّهجات، بل كانَ العربُ يُعبِّرُونَ بمقتضى لهجاتهِم التي فُطِرُوا عليها، وهذا من جملة العوامل التي أدَّت إلى تعدُّد الرِّوايات في البَيتِ الواحِد.

**العربية الباقية :**

وقد شُغِلَ أهلُ العِلمِ بهذهِ اللُّغةِ التي أُطلِقَ عليها مُصطلحات : **الفُصحى، والعربيّة الموحَّدة، والعربيّة المُشتركَة**. وقد كانَ أهلُ العِلمِ يعترِفُونَ بتسَاوِي اللُّغات جميعاً في الاحتجاج ((فالنَّاطِقُ على قِياسِ لُغاتِ العرَبِ مُصِيبٌ غيرُ مُخطِئ)). ولمَّا سُئِلَ أبو عَمرو بنُ العلاء فِيمَ يَفعلُ فيما خَالفَهُ مِنْ لُغاتِ العرَبِ، وهُم حُجَّةٌ، فقال: "أَحمِلُ على الأكثَر، وأُسمِّي ما خَالَفَني لُغات".

وقد عقدَ ((ابنُ جنِّي)) في كتابهِ (الخصائِص) باباً في اختلافِ اللُّغات وكلُّها حُجَّة، غيرَ أنَّهُ كانَ يُفاضِلُ بينَ اللُّغات، فيَرى في خصائصِ بعضِها أكثرَ شيُوعاً، والكثرةُ هذهِ دليلٌ على فصاحةٍ وقُوَّةٍ في نفُوسِ النَّاطقِينَ بها.

وثمَّةَ مُشكِلَةٌ وقعَ فيها بعضُ أهلِ العِلم؛ تلكَ أنَّهم وقعوا في التناقُض حِينَ استنبَطُوا قواعدَ العربيَّة النحْويَّة والصَّرفيَّة، وذلكَ عندما أَقحَموا خصائصَ اللَّهجات ولم يَصدرُوا عن خُطَّةٍ مُحكمَةٍ شَامِلَة، فكَثُرَت التَّفريعاتُ على القاعِدة، واختلطَ المُطَّرِدُ بغيرِ المُطَّرِد.

وقد كانَ العرَبُ فِئَتَين :

1. فِئَةُ الخَاصَّة: وكانت تعمِدُ إلى صَقلِ لُغَتِهَا وتَجوِيدِهَا، وتَسمو في تَعابيرِها إلى أرفعِ مُستوىً منَ التَّخاطُب.
2. وفِئَةُ العامَّة: وكانت تكتَفي بحظٍّ قليلٍ منَ الفصَاحَة، وتنطِقُ محكومةً بتَقَالِيدِهَا وبِيئَتِهَا، فَلُغَةُ الحَواضِرِ كَمكَّةَ والمدينَة تَنمَازُ مِن لُغةِ البَوادِي.

ا**للهجاتُ العربيَّةُ القديمة :**

* اللَّهجةُ: هي (اللُّغةُ) في اصطلاح أهلِ العِلمِ بالعربيَّةِ ؛ كَلُغَةِ ((تَميم)) ولُغَةِ ((هُذَيل))، ولُغَةِ ((طَيِّئ))، واللُّغةُ في المُعجماتُ القديمةِ هي ((اللَّهجَة))، وقد أُطلِقَ عَليها ((اللِّسَان))، كما أُطلِقَ علَيها ((اللَّحن))..
* واللَّهجةُ في اصطِلَاحِ المُحدَثِين: هي مجموعةٌ منَ الصِّفَاتِ اللُّغويَّة التي تنتمي إلى بيئةٍ خاصَّة، ويَشتَرِكُ في هذهِ الصِّفَات جميع أفرادِ هذهِ اللَّهجة.

**عَوامِل نشوءِ اللَّهجات :**

1. **عواملُ جَغرافيَّةٌ** :

وذلكَ إذا كانت مُنتشِرةً في بيئةٍ جَغرافيَّةٍ واسعةٍ فيها الجبالُ والسُّهولُ والوديانُ، والصَّحراءُ...، ينتجُ عن هذا كلِّهِ انعزَالٌ يؤدِّي إلى تَبايُنٍ في تطوُّرِ اللُّغة. ولا رَيبَ في أنَّ طبيعةَ البيئةِ تؤدِّي إلى اختلافِ الأداءِ، فأهلُ البيئةِ الزِّراعيَّةِ مثلاً يَنمَازُونَ في كلامهِم عن أهلِ البيئةِ الصَّحراويَّةِ.

1. **عواملُ اجتماعيَّة :**

المجتمعُ الإنسانيُّ يؤثِّرُ بطبقاتهِ في وُجودِ اللَّهجات، فالطَّبقةُ الرَّاقيةُ تتَّخِذُ لهجةً تَنْمـَازُ مِن لهجَاتِ البيئاتِ البسيطةِ، على هذا قَالوا: "لهجةُ أهلِ الصِّناعةِ... وكلُّ هيئةٍ من أَربابِ المِهَنِ لَها عاميَّتُها الخاصَّةُ ".

1. **عواملُ خارجيَّةٌ** :

يُقصَدُ بها: الغَزوُ والهجرةُ والتَّجاوُرُ...هذا الاحتكاك من أكثرِ العواملِ أثراً في شيُوعِ اللَّهجات، وفي اللَّهجات شواهدُ كثيرةٌ على أثرِ الصِّراعِ اللُّغويّ، فاللَّهجات العاميَّة التي انتشرَت في البلادِ المفتوحَة تحملُ كثيراً من مظاهرِ هذا الاحتكاك.

**جهودُ السَّابقِين في اللَّهجات العربيَّة القديمة :**

إنَّ دراسةَ اللَّهجات العربيَّة القديمة تُفيدُ في معرفةِ تطوُّرِ دلالاتِ الألفاظ، وتُسهِم في معرفةِ خصائصِ العربيَّة ومراحلِ نشوئِهَا وتطوُّرِهَا.

ولأهلِ اللُّغةِ منَ الأقدَمين جهودٌ لكنَّها مختصرة ولا تجعلُنا نقفُ على الخصائصِ الصَّرفيَّة والصَّوتيَّة والدَّلاليَّة لتلكَ اللَّهجات، وبعضٌ منها طَوَتهُ يدُ الزَّمَن ولم يصِلْ إلَينا منهُ إلَّا النَّذرُ اليَسير، ومنها :

1. كتابُ اللُّغات لـ ((يُونُس بن حَبيب، ت 182هـ)).
2. كتاب اللُّغات لـ ((أبي عَمرو الشَّيبانيّ، ت 206هـ)).
3. كتاب اللُّغات لـ ((الفرَّاء، ت207هـ)).
4. كتاب اللُّغات لـ ((أبي عُبَيدَة، ت210هـ)).
5. كتاب اللُّغات لـ ((أبي زَيدِ الأنصاريّ، ت 215هـ)).
6. كتاب اللُّغات لـ ((الأصمعيّ، ت 216هـ)).
7. كتاب اللُّغات لـ ((ابن دُرَيد، ت 231هـ)).

وكلُّ هذهِ الكتُب مفقودَة، وثمَّةَ شذَرَاتٌ منها في كتُب اللُّغة.

**المَذمُوم من لُغات العرَب :**

تَروي كتبُ اللُّغةِ أنَّ في لُغاتِ العرَب ظواهر ضَعيفة لا تتَّصِفُ بالفصَاحَة، ومنها :

1. **الكَشْكَشَة :**

وهي تُعزَى إلى ((رَبيعَة ومُضَر))، وقِيلَ: يَجعَلُونَ بعدَ الكاف ((شِيناً)) في خِطَابِ المؤنَّثَة، فيُقَال: ((بِكِش، لَكِش))، وذلكَ في الوَقف عندَ بعضِهِم، وقِيلَ: وفي الوَصلِ أيضاً. وَرُوِيَ أنَّ بعضَ الأعرَاب يَجعَلُونَ الكاف ((شِيناً)) نحوَ: ((مِنْشِ = مِنكِ))، و((عَلِيشِ = عَلَيكِ))، وعلى هذهِ اللُّغة قولُ الشَّاعر:

**فَعَينَاشِ عَينَاهَا وجِيدُشِ جِيدُهَا ولكنَّ عَظمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ**

والأصلُ:

**فَعَينَاكِ عَينَاهَا وجِيــــدُكِ جِيدُهَا ولكنَّ عَظمَ السَّــــاقِ مِنْكِ دَقِيقُ**

1. **الفَحفَحَة :**

وهي تُعزَى إلى ((هُذَيل))، فَهُم يجعَلُونَ الحَاءَ ((عَيناً))، وعلى ذلكَ قراءَةُ ((عَتَّى حِين)).وفي حُدُودِ ما أعلَمُ أنَّ هذه الظاهرة مقتصرةٌ على هذه القراءة.

1. **الطَّمطمانيَّة:**

وهي تُعزَى إلى ((حِميَر))، وبعض ((طَيِّئ))، ويُورِدُونَ مِثَالاً، وهو قولُهم: ((طَابَ امْهَواءُ)) يُرِيدُونَ ((طَابَ الهَواءُ)).

1. **العَجعَجَة :**

وقد عُزِيَت إلى قُضَاعَة، يَجعَلُونَ الياء المُشدَّدة ((جِيماً))، نحوَ: ((تَـمِيمِجّ)) أي ((تَـمِيمِيّ))، وعلى هذه الظَّاهِرَة قولُ الرَّاجز:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خَالي عُوَيفٌ, وأَبُو عَلِجّ**  **الُمطْعِمانِ اللّحمَ بالعشجّ** |  | . |

أي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خَالي عُوَيفٌ وأَبُو عَلِيّ**  **الُمطْعِمانِ اللَّحْمَ بالعَشِـيّ** |  | . |

1. **عَنْعَنَةُ تَميم :**

وهي إبدَالُ الهمزةِ المَفتوحةِ ((عَيناً))، وعَليها قولُ الشَّاعِر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أَعَنْ ترسَّمت من خَرْقاءَ منزلـــةً**  **ماءُ الصّبابةِ من عينَيك مَسجُومُ** |  | **.** |

المـُراد: أَأَن تَرسَّمت.

**المبحث السادس**

**الفصيح من لغات العرب**

**تعريف الفصيح :**

**الفصيح من الكلام ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عّما عليه أهل الأدب، ولتصحيح ذلك وُضِع النّحو، ولجمعه وُضعت الكتب، وذُكر المستعمل منها والشاذُّ والمهمل، وحقّ من نشأ في بلاد العرب أن يستعمل الاقتداء بها ولا يخرج عن جملة ألفاظهم. وليس كل العرب متساويين في الفصاحة ولا في إدراك المعاني، ولا في نظم الشّعر حّتى فحول شعرائِهِم يتفاوتون في الفصاحة.**

أراء المستشرقين : **جاءت أراؤهم متباينة ، يعوزها الدليل** ؛ **يذهب (غويدي) (ت 1935م) أنّ الفصحى خليط من لهجات نجد والمناطق المجاورة ولا تمثّل لهجة بعينها من هذه اللّهجات. ويرى (نلينو) (ت 1938م) أنّ الفصحى لغة القبائل التّي اشتهرت بنظم (الشّعر) والتّي جمع أهل اللّغة مادتهم وشواهدهم منها.** **ويذهب (نولدكه) (ت 1930م) إلى أنّ الخلافات بين لهجات الأقاليم في الجزيرة العربّية الأساسيّة وهي الحجاز ونجد ومنطقة الفرات كانت قليلة ، وأنّ الفصحى مؤسسة عليها. والفصاحة قضية ملتبسة ، وفي كتب الفصيح والتفسير والقراءات قضايا كثيرة لا مجال للإفاضة فيها تنتمي إلى هذه المقولة .**

أولاً - لغة قريش :

**يذكر الأزهريّ ( ت 370 هـ )عن أبي بكر الصدّيق ( ت 13 هـ ) رضي اللّه عنه قوله:** "قريش هم أوسط العرب في العرب داراً وأحسنهم جِواراً، وأعربهم ألسنةً" **،كذلك ذُكِر أنّ (الفرّاء) ( ت 207 هـ ) ينعت لغة قريش بالفصاحة، ويرى أنهّا كانت تتأثّر بلغات العرب، يقول:** " كانت العرب تحضرُ المَوسِمَ كلّ وتِحجُّ البيت في الجاهليّة، وقريش يسمعون لغات جميع العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلّموا به فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللُّغات ومستقبح الألفاظ". **والمبّرد ( ت 286 هـ ): لا يقول بفصاحة لغة قريش فحسب بل إنّه يرى فيها مثالاً عالياً للفصاحة ، يقول:** " وإنَّما يُقالُ (بنو فُلانٍ أفصَحُ من بَنِي فُلان، أي: أشبَهُ لغةً بلغةِ القرّآن الكريم ولغة قريش "

**كذلك نعت (الفارابي)( ت339 هـ ) لغة قريش بعدد من الصّفات، متوسّلاً اسمَ التَّفضيل في ذلك، فقال:** "كانت قريش أجودَ انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللّسان عند النّطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عمّا في النّفس".

ماهي العوامل أو الأشياء التي عللوا بها تقدّم لغة قريش؟ **و لعلّ أبرز ما علّل به أهل اللّغة والنّحو تقدُّم قريش في الفصاحةِ هو:**

1. **كانت قريش فصيحة طبعاً وسليقة.**
2. **عززّت قريش فصاحتها، ورفدت لغتها بأن استعارت أجودَ ما عند العرب من لغات.**
3. **خلت لغتهم من العيوب الّتي تصيب اللّهجات.**
4. **هم أهل البيت الحرام، وهو مهوى قلوب العرب حتى قبل الإسلام.**

***صدى لغة قريش في القراءات القرآنية:***

* **نستطيع أن نتبيّن فصاحة لغة قريش من خلال رصد القراءات الّتي وافقت لغتها، وذلك لأنّ أهل العلم بالقراءة ينصُّون على أنّ القراءة تكون بأفصح اللُّغات وممّا عُزي إلى لغة قريش أحرف قُرِئَ بالفصيح منها.**
* **قرأ الجمهور (الرِّجز) بكسر الرّاء على لغة قريش، وقرأ الجمهور (رُبوة) بضمّ الرّاء على لغة قريش، وقرأ الجمهور (و الوَتْر) بفتح الواو وسكون التّاء وهي لغة قريش، قرأ الجمهور**

**(خَطِفَ) بكسر الطّاء وهي لغة قريش.**

* **كذلك كان للغة قريش أثر في اختيار كبار القرّاء ومنهم (أبو عمرو بن العلاء) والفصحى كما بدت لي هي أوسع من لغة قريش وأشملُ، فليس كل الظواهر الّتي عُزِيَت إلى قريش هي الظواهر الفصيحة الّتي أخذت بها العربّية الموحّدة، ومن أدلّة ذلك :**

1. **حركة (هاء الغائب) بعد (الياء السَّاكنة) أو الكسرة:**

**فللعرب فيها غير نهج: بعض العرب يقولُ (عليْهُمُ) بضّم الهاء والميم. وبعض العرب يقولُ (عليهِمِ) بكسر الهاء والميم، وهذا هو النّهج الأكثر وهو ليس في لغة قريش.**

1. **مسألة الهمز** :

**الهمزة من أثقل الحروف نطقاً، وأبعدها مخرجاً وللعرب فيها غير نهج : نهج التّحقيق: وهو لدى تميم وأسد وقيس نحو (بئر- خاسئاً- فؤاد) بتحقيق الهمزة. وخففها آخرون: وهم أهل قريش والحجاز، نحو: (بير- خاسياً - فُوَاد) و تحقيق الهمز أكثر فصاحة من تخفيفه.**

ثانياً - لغة تميم :

* **هي من أبرز لغات العرب وهي الموازية للحجازيّة وغالباً ما يذكر نهج هذه عند نهج تلك وقد عُدَّت من اللُّغات التي نزل بها القرآن الكريم، وقد تميزّت لغتها بالفصاحة..**
* **ومن الأخبار أنَّهُ قُرِئَ على النبي ﷺ من كُلِّ خمسٍ من أخماس البصرة رجلٌ فاختلفوا في قراءاتهم، فرضي النبي ﷺ (**قراءاتهم**) كلّهم فكان بنو تميم أعرب القوم..**
* **وممّن مكن أخماس البصرة (تميم - بكر بن وائل - عبد القيس - الأزْد- العالية)، ويَذكرُ (أبو عمرو بن العلاء) : أنّ أفصح النّاس (سافلةُ) قُريش** وعاليةُ (تميم)**.**

**ومما يدلِّلُ على فصاحةِ (تَميم) ما رَواهُ الأصمعيّ عن بعضِ بطونهِم، كقولهِ: "رأيتُ امرأةً من تميم لمْ أرَ أفصحَ منها".**

**ظواهر تميميّة فصيحة:**

1. **ادِّغَام لام المُضاعَف في الجَزم، والوَقف، نحو: ((مَنْ يُشَاقَّ))، و((مَنْ يُرتَدّ)).**
2. **الإمالة: وهي أنْ تنحوَ بالفتحةِ نحوَ الكسرة، وبالألِفِ نحوَ الياء..وقد عَزَاها (الزَّجَّاج) إلى أهلِهَا فقال: "والإمالةُ لغةُ تميم وغيرهِم منَ العرب، وقد وصَفَها بالفصَاحةِ فقال: "وهي جيِّدة فصيحة"، وقالَ الدَّانِي : الإمالة والفتحُ لُغتانِ مشهورتَانِ فاشِيَتانِ على ألسنةِ العربِ الذينَ نزلَ القرآنُ الكريمُ بلُغتهِم، فالفتحُ لغةُ الحجازِ والإمالةُ لغةُ عامّةِ أهلِ نجدٍ من تميمٍ وأسدٍ وقَيسٍ (الضُّحِي ).**

**ظواهر غير فصيحة في لغة تميم :**

**تميم تقول: (الحَمْدِ للهِ). ولا خيرَ في هذه اللغية. وتقول: (أفْلَطَّنِي) في (أفلَتَّنِي)، وقِيل: هي تميميَّةٌ قبيحةٌ. ومما تقدَّمَ ينبغي أنَّ نعدَّ لغةَ تميم من فصيحِ لُغاتِ العرَب بشهادةِ أهلِ العِلمِ، وبدلالةِ ما وردَ من لُغاتِها في القرآنِ الكريمِ.**

المبحث السابع

**النَّماءُ في اللغة**

النَّماء **:**

**مصدَر نَمَا، ومن دِلالاتِهِ: التَّكاثُر، والازدياد، والنَّماءُ: زِيادةُ الشَّيءِ حالاً بعدَ حَال. ومن معانِيه: الانتهاءُ والبُلوغ، والالتحاقُ والتَّوالُد..وعَوامِلُ النَّماءِ كثيرةٌ جدّاً في اللُّغةِ، منها :1- الاشتقاق بأنواعه ، 2- والاشتراك ، 3- والتضاد ، 4- والترادف ، 5- والمجاز ، 6 – والتوليد 7- والتعريب .**

الاشتقاق:

**هو وسيلةٌ مهمَّة من وسائلِ نموِّ اللُّغةِ وتَكثيرِ مُفردَاتِها..** وقِيلَ في تعريفِهِ: **هو أخذُ كَلمةٍ مِن كلمةٍ أو أكثَر، وقِيل: هو تَوليدُ بعضِ الألفاظِ مِن بَعض، والرُّجوعُ بها إلى أصلٍ واحِد. وقِيل: هو نَزعُ لَفظٍ مِن آخَر شَرطَ مُناسبَتِهما مَعنىً وتَركِيباً.**

أنواع الاشتقاق :

1. الاشتقاقُ الصَّغير: ((الأصغَر))

**يُقالُ لهُ: الأصغَر، والعَام، والصَّرفي. تعريفُهُ: هو أخذُ صِيغةٍ مِن أخرى معَ اتّفاقهِما مَعنىً ومادّةً أصليَّةً وهَيئةَ تَركِيبٍ ليدلَّ بالثَّانيةِ على معنى الأصلِ، والزِّيادةُ فيهِ مُفيدَة. فَمَنْ (عَلِمَ) نشتقُّ الأفعالَ ((الماضي، والمُضارِع، والأمر، وعَالِم، ومَعلُوم، ومُعلِّم...وهذا النَّوعُ منَ الاشتقاق أكثر أنواع الاشتقاقِ وُروداً، وأكثرُها أهميَّةً، وهو المُرَاد عندَ إطلاقِ التَّسمية. وهذا النوعُ منَ الاشتقاقِ يَفترضُ وجودَ أصلٍ وفَرْعٍ،** وفِي ذلكَ خِلاف**: فأصلُ الاشتقاق عندَ الكوفيين: الفِعلُ، أمَّا المصدرُ فَفَرْعٌ عليه. وذهبَ البصريُّون إلى أنَّ المصدر: هوَ الأصلُ، والفِعلُ فَرعٌ عليه.وقد زعمَ بعضُ أهلِ اللُّغةِ أنَّ اللُّغةَ كُلَّها أَصلٌ، ولا اشتقاقَ فيها البتَّةَ.**

**وجمهورُ أهلِ اللُّغةِ يَقولُون: بعضُ الكَلِمِ مُشتَقٌّ، وبعضُهُ غيرُ مُشتقٍّ، وعُلماءُ العربيَّةِ يَكادُونَ يُجمِعُون على وُقُوعِ الاشتقاقِ الأصغَر في العربيَّة، وقَد أفرَدَهُ بالبَحثِ عددٌ من أهلِ العربيَّة، ومنهم :**

|  |  |
| --- | --- |
| * **قطرب (ت 210 هـ).** | * **الأصمعي (ت 216 هـ).** |
| * **الزَّجَّاج (ت311 هـ).** | * **ابنُ دُرَيد (ت 321 هـ).** |

**أغرَاض الاشتقاق الأصغَر:**

1. **اتِّساع الكلام بالاشتقاق.**
2. **يُفيدُ في القوافي والسَّجع.**
3. **التصرُّف في المعاني الدَّقيقة.**
4. **معرفةُ العَربيّ منَ الأعجَميّ منَ الكَلِم.**
5. **يُسَهِّلُ كثيراً مِن حِفظِ اللُّغة.**
6. **يُسهِمُ في تَفسيرِ الأشعَار وكلامِ العرَب.**
7. الاشتقاقُ الكبير:

**يُسَمِّيهِ (ابنُ جنِّيّ): ((الأكبَر، أو القَلب، أو القَلب اللُّغويّ)). قالَ ابنُ جنِّيّ: "هوَ أنْ تأخـــذَ أصلاً**

**منَ الأصول الثُّلاثيَّة، فتَعقدَ عليهِ وعلى تَقالِيبهِ السِّتَّة مَعنىً واحِداً تجتمعُ إليهِ التَّراكيبُ السِّتَّةُ وما**

**يتصرَّفُ عن كلِّ واحدٍ منها. إذن: هوَ البحثُ عن معنىً مركزيٍّ في الأصلِ وتقَالِيبِهِ.**

**أمثلة : (ج ب ر) وتقاليبُهُ : يدلُّ على** القوَّةِ والشِّدَّة. **و(س م ل) و تقاليبهُ : يدلُّ على** الإِصحَابِ والمُلَايَنة**. وممَّا قالَهُ (ابنُ جنِّيّ ):**

* السَّمَلُ : الثَوْبُ الخَلِقُ, لا وَبَرَ عليهِ كما الجديد. والسّمل: الماء القليل.
* السّلامة : السليمُ ليس فيه عيبٌ تَقِفُ النَّفسُ عليه .
* الـمَسيل : الماءُ الجاري .
* الأملَس : لا اعتراض فيه .
* اللَّمس : لا فاصل بين الشيء وبينَ الحاسة .
* ( ل.س.م ) مهمل .

**سِمات هذا الاشتقاق :**

1. **إنَّ تطبيقَهُ على مُفردَاتِ اللُّغةِ لا يَخلو من صعوبَةٍ ظَاهِرة.**
2. **الارتباطُ غيرُ مُقيَّدٍ بترتيبٍ مُعيَّن، ولا اطِّرَادَ فيه، بل إنَّ الرَّابِطَ غامِضٌ مُبهَمٌ.**
3. **فكرةُ التَّقاليبِ تعودُ إلى (الخليل بن أحمَد الفرَاهيديّ) في بِنَاءِ مُعجَمِ (العَين) معَ ذِكرِ المُستَعمَلِ منها ، والمُهمَلِ.**
4. **بعضُ أهلِ العِلمِ أيَّدَ الاشتقاقَ الكبيرَ ((كالزَّجَّاج))، وبعضُهُم أنكرَهُ ((كالسِّيوطيّ، وإبراهِيم أنِيس))، ومنهم مَنْ وقفَ موقفاً وسطاً، فرأى عملَ (ابنِ جنِّيّ) فِكراً ثاقِباً، ونظرةً بعيدةً وذكاءً حادّاً، وخيالاً خصباً.**
5. **لَم يَخلُ الاشتقاقُ مِن تكلُّفٍ وتَصنُّعٍ أحياناً.**
6. **كثيرٌ منَ التَّقاليبِ لَـمْ يأتِ بها السَّماعُ.**

**ج- الاشتقاق الأكبَر:**

تعريفهُ: **هو أن يكون بين أصول الكلمات اتفاقٌ في الأحرف الثابتة، يربطهما معنىً عامّ مُناسبٌ لها، أو أن يكون هناك تناسُب في مخارج الحروف التي تتناولُ المواضِعَ في أبنيةِ الأصول.**

**أمثلة:**

* **(عَصَرَ)، و (أَزَلَ): بمعنى (حَبَسَ) وفيهِ تعسُّف.**
* **(هَدِيلُ الحَمام وهَدِيرُهُ ): أي (تَردِيدُ صَوتِهِ).**
* **(أَرَاقَ المَاءَ، وهَرَاقَهُ): أي (صَبَّهُ).**
* **(العَسَفُ)، و(الأَسَفُ): أي (الشِّدَّةُ).**

**هذا الاشتقاقُ يقومُ على الإبدال؛ والإبدالُ مِن سُنَنِ العربيَّة، ولُوحِظَ أنَّ كثيراً من هذا التَّقارُب هوَ تَرادُفٌ أو اشتِرَاكٌ. والإبدالُ قِسمَان :**

1. **الإبدالُ الصَّرفيّ : وهو أنْ تُقِيمَ مكانَ حَرفٍ حَرفاً آخَر بهدَفِ تَيسِيرِ لَفظِهَ أو تَسهِيلهِ، ومن أمثِلَتِهِ:(مِيْقَاتٌ)، وأصلُها (مِوْقَاتٌ).و(مِيعَادٌ)، وأصلُها (مِوْعَادٌ). وهذا الإبدالُ لا صِلَةَ لهُ (بالاشتقاقِ الأكبَرِ) لا مِن قريبٍ ولا من بَعيد.**
2. **الإبدالُ اللُّغويّ: وهوَ أوسَعُ منَ الإبدالِ الصَّرفيّ؛ لأنَّهُ يشملُ حروفاً لا يَشملُها الإبدالُ الأوَّل.**

**رَأيُ المُحدَثِين :**

**رَدُّوا كثيراً من صُورِ الاشتقاقِ الأكبَر إلى التطوُّرِ الصَّوتيّ، وأدخَلوا فيه اختلافَ اللهجات، نحوَ**

**(فُوم – ثُوم)، ورَأوا أنَّ إحدَى الصورتَين هيَ الأصلُ. وابنِ جِنِّيّ من قبل يُعَوِّلُ على المَخرَجِ، لا على الصِّفَة في هذا الإبدال، ولم يَذكُر منَ الأمثلةِ إلَّا ما اتَّفقَ مَخرَجاً، وليسَ منَ الإبدَالِ عِندَهُ (جَاسُوا – حَاسُوا)، أو (يدبُّ – يدحُّ).**

**تحليلُ بعضِ الأمثلة:**

**قد نجدُ في التَّصحِيفِ أمثلةً، وهو تصحيفُ نظَرٍ، أو تَصحِيفُ سَمعٍ. وكثرةُ استعمالِ الصِّيغةِ تدلُّ على أنَّها الأصلُ، نحوَ: ((كَثَبَ)) أكثر من ((كَثمَ)), و((أَقْطارٌ)) أكثر من ((أَقتَارٌ)).**

وبعض صُوَرِ الإبدال هي من الإتباع, نحوَ:(رَجُلٌ قَسِيم, أو وَسِيم: أي (جميلٌ)، والثاني بمعنى الأوَّل. و((عطشان، نطشان)): فالثاني توكيدٌ للأوَّل فقط، وليس معنىً له.

**خاتمة:** إنَّ غُلوَّ بعضِ أهلِ العِلمِ في الاشتقاق الأكبر يعني أنَّ حدودَهُ ليست واضحةً, ولا سيما أن الاشتقاقُ الأكبر منَ الأبحاث البِكر , وآراءُ أهلِ العِلمِ فيهِ لا تخلو مِنْ وَهْم ٍ, ومِن خَيال خصبٍ.

د- **النحت (الاشتقاق الكُبّار)**

أما تعريفه: فهو اشتقاق كلمة فذّةٍ, من كلمتين أو أكثر, وهو جنسٌ من الاختصار, نحوَ: (عبشمي): أي ((رجلٌ مَنسوبٌ إلى عبد شمس)).وأمثلتُهُ قليلةٌ؛ لأنَّ أنواعَ الاشتقاقِ الأخرى أغنتهُم عنهُ، وقِلَّتُهُ لا تَنفِي وجودَهُ، ولا تنفِي صِلَتَهُ بالاشتقاق.

ثمَّةَ إشارةٌ تُقَارِبُ دِلالةَ النَّحتِ، فقد سُئِلَ (الحسَنُ بنُ الخطير) المعروف بالظّهير (ت 598هـ) عَن (شَقَحْطَب)، فقال: هذا ما يُسمَّى في كلامِ العرَبِ (المَنحوت)، ومَعناهُ أنَّ الكلمةَ منحوتةٌ من كلمتَين، هُما (شَقَّ، وحَطَبَ)، وكانَ للظّهيرِ هذا بعد ذلك كِتابُهُ (تَنبِيهُ البارعِين على المنحوتِ من كلامِ العرَب).وكلامُ الخليلِ على أنَّ النَّحتَ يكونُ من كلمتَين، ورُوِيَ عنهُ قولُهُ: "وتقولُ منهُ (حَيْعَلَ، يُحَيعِلُ، حَيْعَلَةً ) أي من قولِكَ (حيَّ على). وهو يرَى أنَّ الكلمتَينِ إذا رُكِّبَتَا وَلِكُلٍّ منهُما معنىً وحُكمٌ، أصبحَ لهُما بالتَّركيبِ الجديدِ حُكمٌ جَديد.

أمَّا المُحدَثُونَ فقد وقَفُوا على منحوتاتٍ كثيرة، فصارَ النَّحتُ من اصطلاحِهِم، فقالُوا: "هو أخذُ كلمةٍ من كلمتَينِ أو أكثَر، يَدخلُ في ذلكَ الكلمتَان، والثَّلاث، والجُملة".

**أقسامُ النَّحتِ:**

1. النَّحتُ الفِعليّ: وهو أن يُنحتَ منَ الجُملةِ فِعلٌ، نحوَ ( بَسْمَلَ، حَمْدَلَ، دَمْعَزَ، سَبْحَل) .
2. النَّحتُ الاسمي: نحو (جلمود)، فهي من (جلدَ)، و (جمَدَ). ونحو: (برقع): من أسماء السماء.
3. النَّحتُ النسبي : نحو : (عَبْدَرِيّ) منسوبٌ إلى (عبدِ الدَّار)، و( عَبْشَميْ) في (عَبْدِ شَمْس).
4. النَّحتُ الوصفي : (الصَّلْدَم): الشديدُ الحافِر، منَ (الصَّلد، الصَّدم).

النَّحتُ عندَ أهلِ العِلمِ:

وهُم فِئاتٌ ثلاث: الفئةُ الأولى:تُجِيزُ النَّحتَ وتتوسَّعُ بهِ، وتعدُّهُ نوعاً منَ الاشتقاق، بما فيهِ من

تَوليدٍ وأصلٍ وفَرعٍ، وأبرزُ مَن نادَى بهِ (ابنُ فارسِ الرَّازِيّ). والفئة الثانية: ترى أنَّ لُغتَنا لا تقبلُ النَّحتَ، ومن هؤلاء:(د. مصطفى جواد): الذي رأى أنَّ النَّحتَ يشوِّهُ الكَلِمَ العَرَبيّ، وهو عندَهُ ظنٌّ، وتَخمينٌ، وتأويلٌ بعيد. والفئةُ الثالثة: ترى أنَّ الفئتَينِ السَّابقتَينِ مُغَاليتَان، ومنهم (د.صبحي الصَّالح): والذي رأى أنَّ النَّحتَ المُطلقَ يُفسِدُ اللُّغةَ، وأنَّ الكلمةَ المنحوتةَ رُبَّما بعُدَتْ عن الأصلِ العربيّ، ويرَى أنَّ اللُّغةَ تحتاجُ إليهِ في توليدِ المصطلحات، وذَكرَ أنَّ النَّحتَ يحتاجُ إلى ذَوقٍ سَليمٍ، وأنَّ مجمَعَ اللُّغةِ العربيَّةِ في القاهرةِ أجازَ النَّحتَ عندَ الضَّرورَة.

\*\*\*\* \*\*\*\* \*\*\*\*

**المبحث الثامن**

**الترادف**والاشتراك والتضاد

الترادف :

**تعريفُهُ :** هو إطلاقُ لفظَينِ أو أكثرَ على مُسمّىً واحدٍ. ولابنِ جنِّيٍّ تعريفٌ فَذٌّ يقولُ فيه: "هو الألفاظُ المُفردَةُ الدَّالَّةُ على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ"، فالألفاظُ مُفردةٌ أي ليسَت مُركَّبةً في جملةٍ.

و(العربيَّةُ الفُصحَى، والعاميَّةُ) اعتبارَان، و(العربيَّةُ، والإنكليزيَّةُ) اعتبارَان .

والأصلُ في وضعِ الألفاظِ في اللُّغات أنْ يكونَ لكلِّ معنىً يَجولُ في خاطرِ الإنسانِ لَفظٌ واحدٌ، وأنْ يكونَ للكلمةِ الواحدةِ معنىً واحدٍ، وأنْ يكونَ للفِكرةِ الواحدةِ لفظٌ واحدٌ، ولكنَّ واقعَ الحالِ يدلُّ على أنَّ للمُسمَّى الواحدِ لفظَينِ أو أكثَر.

وثمَّةَ قِصَّةٌ طريفةٌ مَفادُهَا أنَّ (ابنَ خالَوَيه) قالَ في مجلِسِ (سيفِ الدّولة) :أحفَظُ للسَّيفِ خمسينَ اسماً، فابتسمَ (أبوعليِّ الفارسيّ) وقال: لا أحفظُ لهُ إلَّا اسماً واحداً هوَ السَّيف، قالَ (ابنُ خالَوَيه): فأينَ المُهَنَّدُ، والصَّارِمُ، وكذا وكذا؟ فقالَ أبو عليٍّ : هذهِ صِفاتٌ.

**مواقفُ أهلِ العِلمِ منَ التَّرادُف:**

ثمَّةَ فريقٌ **بالغَ** في مفهومِ التَّرادُف، فنسَبَ إلى الشَّيءِ الواحدِ ألوفَ المعاني، فهذا ما يُوحِي بهِ كتابٌ لـ (لفَيروزأبادي) اسمُهُ (الرَّوضُ المَسلوفُ فيما لهُ أسماءٌ إلى ألوف)). ولا يَخفَى ما في هذا الكلامِ مِن مُبالغةٍ ناشئةٍ عن إغفالِ أصلِ الدِّلالةِ وتطوُّرِهَا في سَيرُورَةِ اللُّغةِ في عُمُرِها المُتطَاوِل. وهُناكَ فريقٌ ثان **أنكرَ** التَّرادُف، ومنهم (ابنُ الأعرابيُّ، وثَعلَب، وأبو عليِّ الفارسيّ، والرَّاغِبُ الأصفَهانيّ).

أمَّا الفريقُ الثالثُ، فهو يتبنَّى رأياً **وسَطاً** يُقِرُّ بوجودِ التَّرادُفِ، ويذكرُ أنَّ التَّرادُفَ يُتَوَسَّلُ إليهِ في المعاجِمِ وكتُبِ الفِقهِ، والشَّرحِ والتَّفسيرِ، لإيضاحِ الألفاظِ، ومنَ الأمثلةِ التي يَذكرُونَها: ((النَّسمَةُ، والنَّفْسُ، والرُّوحُ)) في الدِّلالةِ على الإنسان، و((التُّبرُ، والحِنطَةُ، والقَمحُ)).

**عوامِل وجود التَّرادُف :**

1. أنْ تأخُذَ بعضُ الألفاظِ شكلَينِ مُختلفَينِ في دورَانِهما على الألسنةِ، ومعَ الاستعمالِ يُصبِحَانِ مُترادِفَين، نحوَ: ((جذَبَ، و جَبَذَ))، و((فَمٌ، و فُو))، و ((إنسٌ، و إنسانٌ)).
2. اختلافُ لهجاتِ القبائلِ: وقد حدثَ هذا في غيرِ لُغةٍ من لُغاتِ القبائِل، وذلكَ أنْ تضعَ هذهِ القبيلةُ أحدَ الاسمَينِ، وتضعَ قبيلةٌ أخرى الاسمَ الثاني، نحوَ: ((السِّكين، والمَدِيَّة))، و((خَاسِئِين))، وفي لُغةِ كِنَانَة ((صَاغِرِين)) .
3. إجراءُ الصِّفاتِ مَجرَى الأسماءِ: وذلكَ بأنْ تجرِي صِفَةٌ منَ الصِّفاتِ على ألسِنَةِ المُتكلِّمينَ على مُسَمّىً مُعيَّنٍ، ثمَّ تَشيعُ وتَنوبُ عن الاسمِ في التَّعبيرِ، وتصبحُ مُرادفةً لهُ، نحوَ : تسميةُ السَّيفِ: الفَيصَل ؛ لأنَّهُ يَفصِلُ أجزاءَ الجِسمِ، وتسميةُ: المُهنَّد؛ لأنّهُ وارِدٌ منَ الهِندِ.
4. التَّقارُبُ في الدِّلالة: أي أنْ يكونَ في اللُّغةِ لفظتَانِ لمعنَيَينِ مُتجاوِرَينِ، أي كلٌّ منهُما قريبُ

الشَّبَهِ منَ الآخَر، ولكنَّهُما مُختلِفَان، ثمَّ يختفي الفرقُ معَ طولِ الاستعمال، ويُعَدَّانِ مُترادِفَين،

نحوَ: ((الرَّيب، والشَّكّ)): فلَو دقَّقنا في أصلِ وَضعِهِما لَوَجَدنَا فرقاً مَلحوظاً؛ فالشَّكُّ موقفٌ بينَ طرفَي قضيَّةٍ نَفياً وإثباتاً، والعَجزُ عن التَّرجيحِ مَوقِفٌ مُزعِجٌ يُشبِهُ الشُّعورَ بالوَخزِ، أي الشَّكِّ بالإبَر. والرَّيبُ يدلُّ في أصلِهِ على الغَلَيانِ والفَوَرَانِ والاضطراب، ويكونُ في اللَّبَنِ عندما يُرَوَّبُ، وهو مَوقفُ نِزاعٍ وتخبُّطٍ وقد وصلت اللَّفظتانِ إلى التَّرادُفِ في الاستعمال؛ يقولُ بعضُ

المُفسِّرِين**: {ذلكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ } ،** أي (لا شَكَّ فيهِ).

1. التعريب: وهوَ دخولُ الكلماتِ من لُغاتٍ أخرى إلى العربيَّة، نحوَ: تسميةِ ((الحَرير)) بـ : (الدِّيباج، والدِّمَقس، والإستَبرَق). وتسميةِ ((الخَمرِ)) بـ: (الإسْفَنط )، وهي كلمةٌ يونانيّة، و بـ(الزّرجون)، وهي كلمةٌ فارسيَّة.
2. التطوُّرُ اللُّغويّ، أو التَّطوُّرُ الصَّوتيّ : (البَشَاشَةُ، والهَشَاشَةُ). (شَعرٌ جَفْلٌ، وجَثْلٌ) بمعنى كثير.

\*\*\*\* \*\*\*\* \*\*\*\*

**الاشتراك :**

**تعريفُه :**

هو اللفظ الواحد الدال على معنيَين مُختلفَين فأكثر دِلالةً واحدةً على السواء عندَ أهلِ تلك اللغة.

**مُصطلحاتُه** : وقد أُطلِقَ عليهِ :

1. ما اتَّفقَ لفظُهُ واختلَفَ معنَاهُ.
2. ومنهُ ما يُسمَّى بـ ((الوجُوه والنَّظائِر)): أي أنْ تكونَ الكلمةُ الواحِدةُ قد ذُكِرَتْ في مَواضعَ منَ القرآنِ الكريمِ على لَفظٍ واحدٍ، وحركةٍ واحدةٍ ، وأُرِيدَ بكلِّ مكانٍ معنىً غيرَ الآخَرِ. فالنَّظائِرُ :اسمٌ للألفاظِ ..والوجوهُ : اسمٌ للمَعاني.

ويَرى بعضُ أهلِ العِلمِ أنَّ المُشترَكَ قليلٌ جدّاً بالرَّغمِ ممَّا يَبدو مِن كثرَتهِ، ومَصدَرُ هذهِ الكثرَةِ هو التوسُّعُ المجَازِيُّ في المعنى وتَنويعِ المعَانِي انطِلاقاً من دِلالةٍ واحدةٍ.

**عوامل وجوده :**

أولاً – المَجاز: وذلك نحو كلمة (العَين) :

* فالأصل في دلالتها إنما هو على الآلة الباصِرة، وليسَت (البَصِيرة).
* أمَّا (العَين) بمعنى (ينبُوعُ الماء): فإنَّما جاءَ هذا بعلاقةِ المُشابَهة، فعَينُ الماءِ لامعةٌ، والنَّباتُ حولَها يُشبِهُ الأهداب.
* وأمَّا (العين) بمعنى (الدراهم، والدنانير): فقد سمِّيَت كذلك من نَقدِ هذه النقود, وعدم جعلها دَيْناً مؤجلة, أي إنَّها تَبرُزُ تحتَ عينِ الطرفَين, ولذلك يقال: (أعطاهُ الثَّمنَ عَيْناً؛ أي نقداً, وأعطاه إيَّاهُ نَسِيئةً أي دَيْناً.)
* وعَينُ الشَّيءِ نفسه: تعبيرٌ عن الكلِّ بالجزء.
* والعَينُ مِن أَعيَانِ النَّاسِ: وهُم وُجَهاؤُهم؛ لِقيمَتِهم في المجتمَعِ التي تُشبِهُ قيمةَ العَينِ في الأعضَاء.
* والعين بمعنى الإصابة بنظرةٍ حاسدةٍ: لأنَّ العين , أي عَيْنَ الحسود هي المتسببة في هذه الإصابة عند من يعتقدون بذلك.
* والعينُ ثقبُ الإبرَة: لأنَّ النورَ يدخلُ منه , كما يدخلُ منَ العين المبصرة..
* وأمَّا المعنى الأصلي فهو: العين المُبصِرَة لا غيرها .

ثانياً - الاشتراك الكاذب : وهو تطابق كاذب قام بطريق المصادفة ، ومنهُ :

* التشابه بين الإفراد والجمع :

\* النّوى: جمع نواة. \*النَّوى: اسمٌ مُفرَدٌ بمعنى البُعد.

* التشابهُ بينَ الاسمِ والفِعلِ في النُّطقِ: نحوَ :

\*هَوَى: فعلٌ بمعنى: سَقَطَ. \*هَوَى: اسمٌ بمعنى: مَيْل النِّفْس.

* التشابهُ بينَ صِيَغٍ مختلفةِ الأصلِ، والاشتقاقِ على العُموم: نحوَ:

\*الخالُ: أخو الأمّ. \*الخَالُ: الشَّامةُ في الوَجهِ وعليها شَعر.

\*الخَال: السَّحَاب. \*الخَالُ: الكبر.

وللشَّاعر (بطرُس كَرامة، ت1856م) : القصيدةُ (الخاليّة) وفيها يقول:

|  |  |
| --- | --- |
| **أَمِنْ خَدِّهَا الوَرْدِيُّ اُفْتَنَكَ الخَالُ** |  |

**فَسَحَّ منَ الأَجْفَانِ مَدمَعُكَ الخَالُ**

ثالثاً - اختلاف لهجات القبائل : أي وجُودُ كلمةٍ هيَ مِن حَيثُ اللَّفظِ عِندَ كُلَّ قَبيلةٍ، ولكن معَ اختلافِ المَعنى في الاستعمالِ عندِ كلٍّ منهُما. نحوَ:

|  |  |
| --- | --- |
| \* شَحَطَ: بمعنى (مَلَأَ)، (شَحطَ الإناءَ: ملَأهُ). | \* شَحَطَ: بمعنى (لسَعَ، لدَغَ): (شحَطَتهُ العقرب). |
| \* الدَّردَبيس: الدَّاهِيَة. | \* الدَّردَبيس: الشَّيخ الهَرِم، والعجوزُ الفانية. |

رابعاً - التطور الصوتي : وقد تكونُ هناك كلمتَان كانَتَا في الأصلِ مُختلِفتَين في الصُّورة، ثمَّ حدثَ تطوُّرٌ في بعضِ أصواتِ إحداهُما، فاتَّفقَت لذلكَ معَ الأخرى، نحوَ:

* حَنَكُ الإنسان : هو باطن أعلى الفم .
* حَنَك الغراب : هو شدَّةُ سواده .

وكلمةُ (الحَنك) بالمعنى الثاني متطورةٌ عن ( الحَلَك ) بمعنى شدة السواد، ولكن قُلبَتْ اللام نوناً, فغدَت ( الحَنَك ) من المشترك لدلالتها على معنيين ، ومن ذلك:

|  |  |
| --- | --- |
| * الفَرْوة : جلدة الرأس . | * الفَرْوة : الغِنى . |

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو الثَّرْوة , أُبدلت الثاءُ فاءً.

خامِساً - الاقتراض من اللغات الأخرى : قد تتطابق المفردة المقترضة, أو تتحد مع كلمة عربية ذاتِ دلالة مختلفة, ومن ذلك :

|  |  |
| --- | --- |
| * الحُبّ : بمعنى الوداد , وهو حُبّ الشيء . | * والحُبّ: الجّرة التي يجعل فيها الماء . |

والمعنى الأول عربي, أما الثاني فهو مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة عاماً للفظ العربي.

ومن ذلك: ((السُّور: بمعنى حائط المدينة)), ((السور: الضيافة)), والمعنى الأول عربي , أما الثاني فهو لكلمة فارسية شرَّفها النبي  حين نطق بها , حين قال : **(( يا أهل الخندق , قوموا , فقد صنع جابر سوراً)) .**

سادساً – تطوُّر دِلالة الألفاظ الإسلاميّة : فقد أضافَت معاني جديدةً لم تكن تعرفُها العربُ، ومنها: ((الكُفر، والكافِر، والزَّكاة، والهُدى، والتَّقوى، والرِّبا)).

* وقد خصَّصَ لها (أبو حاتم الرَّازيّ، ت322 هـ) جزءاً من كِتابِ ((الزِّينَة في الكلماتِ الإسلاميَّة)).

\*\*\* \*\*\*\* \*\*\*

**التَّضاد :**

تعريفهُ: هو أن يُستعمَلَ اللفُ في الدّلالةِ على الشيءِ وضدّه، والضدُّ هو النَّقيضُ. **قال أبو الطيب**

**اللغوي :** الأضداد جمع ضد , وضدّ كل شيء ما نافاه , نحوَ:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| * البياض والسَّواد | * السَّخاء والبُخل. | * الشجاعة والجُبن. |

والاختلافُ أعمُّ منَ التَّضاد ؛ فكلُّ مُتضادَّين مُختلِفان، وليسَ كلُّ مُختلفَين ضِدَّين، فـ ((القوَّةُ والجهلُ)) مختلِفان، ولَيسَا ضِدَّين. والتَّضاد ضَربٌ منَ المُشتركِ اللَّفظيّ، ويتجلَّى في دِلالةِ اللفظِ الواحد على مَعنَيَين مُشترَكَين، ولكنَّهما مُتبَايِنَان، فإذا وصلَ التَّبايُنُ حدَّ التَّناقُضِ والتَّعاكُسِ عُدَّ اللَّفظُ منَ الأضداد.

**كتب التضاد:** أشهر الكتب التي عنيت بالتضاد هي :

1. الأضداد لقُطرب محمد بن المستنير ( ت 206 هـ ).
2. أضداد الأصمعي , والسجستاني ، وابن السكيت ، والصغاني .( مجموع )
3. الأضداد والضد في اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ت 222 هـ ) .
4. الأضداد لأبي الطيب اللغوي ( ت 351 هـ ) .

**عوامل نشأة التضاد :** علل أهل العلم باللغة من قدماء ومحدثين وجود هذه الظاهرة اللغوية بعوامل, أبرزها :

1. دلالة اللفظِ في الأصلِ على معنى عامّ يشتركُ فيهِ الضِّدَّان، ثمَّ يتخصَّصُ هذا المعنى في لهجة معيَّنة: نحو: ((السُّدفةُ)): في لُغةِ (قَيس): الضَّوء. وفي لُغة (تميم): الظلمة. وأصلُ الدِّلالةِ لـ (السُّدفة): هوَ ((الغَلَسُ، والغَبَشُ)) وهو اختلاطُ الضوء والظُّلمة معاً، كوقتِ ما بينَ الفجرِ والصُّبحِ.

((الجون: الأبيض في لغة حي من العرب)), ((والجون: الأسود في لغة حي آخر من العرب)).

* وأصلُ الدِّلالةِ للجوْن: هو اللَّون، وهو فارسيٌّ مُعرَّب.

1. التطور الدلالي والصوتي : وبهذا يمكن تعليل إطلاق معنى (الطَّرَب) على (الحزن) وعلى (الفرح)، وأصلُ الدِّلالةِ: ((ليس هو الفرح, ولا الحزن, إنما هو خفّة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه)).

**وأما التطور الصوتي فمنه : ((**لمقت الكتاب : أي كتبته)), ((لمقتُ الكتاب : محوته)), وهناك من يقول (نمقتُه) بالنون, أي كتبته . **أُبدِلَتِ النونُ لاماً.**

1. التفاؤل :ومن ذلك : ((السليم : بمعنى المعافى)), و((السليم)) : بمعنى **اللَّدِيغَ**, وسموه سليماً تفاؤلاً بسلامته على جهة التمني أو الدعاء.
2. المجاز والاستعارة : كإطلاقِ لفظِ(الأمة) على الجماعة، وعلى الفَرد،, ذلكَ أنَّ الفَردَ بمناقبه وصفاته يعدلُ أُمّةً بكاملها، نحو: ((إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً)).
3. التهكم والاستهزاء : وهذا أسلوب مألوف معروف يحمل في طياته ميلاً إلى الدعابة والتطرّف كقولنا للبخيل : حاتم الطائي , وكقولنا للجاهل أو الغبي : أنت عبقري .
4. احتمال الصيغ الصرفية في العربية لمعنيين متضادين : نحو صيغة (فَعول) التي تحتمل (الفاعل) و (المفعول): شكور , غفور بمعنى: شاكر، وغافر،و رسول : بمعنى مُرسل.

وصيغة (فعيل), نحو: سميع , عليم , قدير . بمعنى : سامع وعالم وقادر ، وكحيل , وجريح . بمعنى: مفعول .

وهكذا نرى أنَّ التضاد ظاهرة لغوية تمثل جانباً متميزاً في خصائص اللغة العربية , وتوسعاً في طرائق التعبير بها, وتنوعاً غنياً في دلالات الألفاظ, ومثل ذلك الترادف والاشتراك

**المبحث التاسع**

وظيفة التنبيه

**(في بعض أساليب العربية)**

مقدمة :

لا ريب في أن حال السامع أو الملتقط أو المستقبِل أو المخاطَب لا تجري على وتِيرة واحدة إزاء تلقي الرسالة، فربما اعتراه ما يجعله لا يتلقاها كما ينبغي، كأن يكون نائماً مستثقلاً أو ساهياً أو متراخياً، أو مُعرِضاً، أو غافلاً، أو بعيداً أو غير هذا.

ومن هنا يعمد المرسِل إلى ما من شأنه أن يجعل المخاطَب مُقبلاً متيقظاً، منتبهاً، ليكون التواصل على أتمّه ويحقق المرسلُ الغاية من الرسالة ويبلغ المراد.

وهذه الأمور الداعية إلى التنبه تندرج ضمن ما يسمى بوظائف اللغة، ويعود الفضل في الكشف عنها، وتبيانها إلى العالم المعاصر جاكبسون (Jakobson). والحق أن المصطلح الدال على الوظيفة موضوع البحث لم يستقر على حال بَعْدُ، ذلك أن الكتب التي عُنيت بالحديث عن وظائف اللغة تذكر في مقابل (Conative) مصطلحات ثلاثة في العربية هي :

1- الوظيفة الندائية

2- ووظيفة إقامة الاتصال

3- - ووظيفة التنبيه .

وبصرف النظر عن مدى شيوع هذا المصطلح أو ذاك، وبصرف النظر عمّا في تلك الكتب من تناقض وتعارض في انتقاء الكلمة التي تترجم المصطلح عن لغته الأصلية، فإنني أميل إلى استعمال "وظيفة التنبيه" لأسباب منها : أن كلمة "التنبيه" كلمة كثيرة الدوران في العربية، وهذا ما سوف تدل عليه النصوص الواردة في متن هذا البحث مما نطق به أهل العلم بالعربية، ومنها أن "النداء" في العربية مشغول، فالكلمة تطلق ويفهم منها أسلوب معروف في العربية وهو جزء من "التنبيه" ، وعلاقته بالتنبيه علاقة الخاص بالعام، ومنها أن ما يفهم من التنبيه أعمق كثيراً مما يُفهم من إقامة الاتصال.

وما بين أيدينا من دراسات يدل على أن وظيفة التنبيه لا تمتلك حدوداً حاصرة، أو بنية مستقلة، بل إنها تتداخل مع الوظائف الأخرى للغة مثل التعبيرية، والمرجعية، والشعرية،… وغيرها وهذه كلها تَنْدَغِمْ بدورها في وظيفة أساسية تؤديها اللغة، فغايتها إنما هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه.

وإذا ما أردنا أن نستطلع بعض ما قيل عن وظيفة التنبيه في كتابات المعاصرين نجد أنهم يقولون : إنها تظهر في المرسلات التي تتوجه إلى الملتقِط لإثارة انتباهه، أو للطلب إليه القيام بعمل معين، ويجعلون جملة الطلب ضمن نطاق الوظيفة.

وربما فصّلوا القول فذكروا أن هذه الوظيفة تتجلى في العبارات الدالة على تأكيد الاتصال، أو إبقائه ، أو إيقافه…… وربما أكدوا أن هذه الوظيفة تؤدي دوراً مهماً في الخطاب الديني، والسياسي، وفي الأحاديث العائلية والغرامية فيصبح الوجود في أماكن تلك الخطابات والأحاديث، مع الاندماج في الآخرين هَدَفَ الاتصال وغايتَهُ . ولا يخفى أن ما ذُكِرَ عن هذه الوظيفة لا يتعدى الإشارات.

ولمّا كان الحديث عن وظيفة التنبيه علماً معاصراً، فإن هذا يَفْتَرِضُ أن تكون الدراسات التي تتناول هذه الوظيفة في العربية نادرةً أو معدومة، لكن – والحق يقال- إن للمتقدمين من أهل التفسير والبلاغة والنحو واللغة، شذرات مفيدة، ولمحات صائبة غير أنها لم تكن مقصودة لذاتها. هذا في القديم أما في الحديث فقد أفرد بعض الدارسين بحثاً تناول فيه الأدوات المفيدة للتنبيه .

والبحث على أهميته ليس كلَّ ما يقال عن التنبيه في العربية، بل هو حلقة أولى من حلقات أحسب أنها ليست قليلة، وإني لآمل أن يكون هذا البحث الذي أعده إحدى تلك الحلقات.

دل التقصي على أن للتنبيه في العربية صلة بأساليب كثيرة، لعل أبرزها النداء، والدعاء، والتوكيد، والإشارة، والاستفهام ، وأمور أخرى كثيرة، ويهدف البحث إلى دراسة كل أسلوب على حدة بغية كشف جوانب التنبيه فيه، وأكثر ما يجري هذا في ضوء ما ورد في القرآن الكريم، يدفع إلى اتبّاع هذا المنهج، أمور منها أن الدراسات التي تتناول القرآن الكريم تفسيرا، وتأويلاً، وبلاغة، ولغةً، وأساليبَ، هي مادة ثرة يمكن الإفادة منها إلى حد بعيد، ومنها التدقيقُ في صحة ما يذهبون إليه من أن وظيفة التنبيه تتجلى تجلياً واضحاً في الخطاب الديني. ومنها أن تتبع التنبيه ضمن السياقات هو أكثر جدوى، وأشدّ حيوية، وأوصل إلى الغرض، وأبين للمراد.

النداء والتنبيه :

النداء لغةً الصوت، أو الدعاء بأرفع صوت، يقال، ندوتُ القوم أندوهم إذ جمعتهم في النادي فتشاوروا وتحدثوا، ومنه قيل للموضع الذي يُفعل فيه ذلك نَدِيٌّ ونادٍ . ويمكن التدليل على صلة النداء بالتنبيه من وجوه : - منها أن المخاطب كثيراً ما يحتاج إلى تنبيه. - ومنها أن تعريف النداء فيه ذكر للتنبيه، فالنداء "تنبيه المدعو، ودعاؤه بأحرف مخصوصة" ، بل إن كلمة التنبيه كثيرة الدوران على ألسنة النحويين عند حديثهم عن النداء وأدواته ، من ذلك مثلاً قول سيبويه: " فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء" ، وينص في موضع آخر على تسمية حروف النداء بحروف التنبيه فيقول: "…… ولا يكون مكان "يا" سواها من حروف التنبيه نحو أيْ، وهَيَا، وأيا " كذلك يُشير ابن جني إلى معنى التنبيه في بعض هذه الحروف فيقول : "يا في النداء تنبيهاً ونداء، في نحو يازيدُ، ويا عبدَالله" . ثم جاء ابن يعيش ليقول : " أصل النداء تنبيه المدعو ليُقبل عليك " وهذه الأقوال تؤول إلى نتيجة واحدة، وهي أن النداء يحمل في طياته التنبيه، وربما دار في الأذهان أن هذه الأقوال جاءت في مرحلة مبكرة نسبيًّا، ولم تكن فيها المصطلحات مستقرة، فكان هذا التداخل بين النداء والتنبيه ، وهذا إنْ صح إلى حد ما، فإنه لا يصح عندما تأتي (يا) خالصة للتنبيه دون النداء ، وذلك عندما يليها ما ليس بمنادى، كالحرف، والفعل، والجملة.

بعد هذا لا بد من أن نقف عند أدوات النداء لنبيّن مدى إفادتها للتنبيه، مسترشدين بأقوال بعض أهل اللغة والنحو :

يا : أصل أدوات النداء، وقد أشار إلى التنبيه فيها غير واحد، قال سيبويه :

"وأما يا، فتنبيه، ألا تراها في النداء وفي الأمر، كأنك تنبه المأمور" ولا يخفى أن سيبويه يُلحّ على معنى التنبيه في "يا" ويجعله بها ألصق، في حين نجد ابن جني يؤاخي بين التنبيه والنداء فيها فيرى أنها تكون تنبيهاً ونداء، لكنه يرى أنها تخلص أحياناً ، وتتعين لمجرد التنبيه ؛ يقول : "يا: في النداء تكون تنبيهاً ونداء……. وقد تجردها من النداء للتنبيه البتة" وأكثر ما يجري الحديث عن دلالة (يا) على التنبيه، فيما يأتي :

* عندما تدخل على فعل الأمر، كقوله تعالى: " ألاَّ يَسْجُدوا " ويقرر ابن جني أنها جُعلت خالصة للتنبيه في هذا الموضع،، يقول :" كأنه قال: هيا اسجدوا (14) فهو يفسر (يا) بـ (ها) التنبيهية.
* وعندما تدخل على الحروف كما في قوله تعالى: " ياليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً" ، ويكثر ورود مثل هذا في القرآن الكريم . كما تدخل على (رُبَّ) كقوله صلى الله عليه وسلم : ( يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا، عاريةٌ يوم القيامة.) ، وكقول جميل :

**يا رُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها بالجِدّ تْخُلُطه بقولِ الهازلِ**

* وعندما تدخل على الفعل الماضي، كقول الشاعر:

**يا حبّذا جبلُ الريانِ مِنْ جَبَل وحبذا ساكنُ الريانِ مَنْ كانا**

* وعندما تدخل على المبتدأ، كقول الشاعر:

**يا لعنةُ اللَّهِ والأقوامِ كلّهم والصالحينَ على سِمْعانَ مِنْ جار**

والنحاة مختلفون في دلالة (يا) في مثل هذه المواضع كونها للنداء أو للتنبيه، ولو عرضنا لجميع أقوالهم، لضاق بنا المجال ، وما يعنينا أن بعضهم يرى أنها تدل على مجرد التنبيه، ومنهم ابن جني، يقول: "فجاء بيا ولا منادى معها، قيل : يا في هذه الأماكن جُرِّدَتْ من معنى النداء، وخلَصَتْ تنبيهاً " . ومنهم أبو حيان (ت 754 هـ) الذي يدلل على كون يا للتنبيه بقوله: " والأصحُّ أن يا في قوله يا ليتنا حرف تنبيه لا حرف نداء والمنادى محذوف، لأنَّ في هذا حذفَ جملة النداء، وحذف متعلقه ، وذلك إجحاف كثير ". فأبو حيان يرفض أن يُحذَفَ من جملة النداء الفعلُ الذي يُقدَّر بـ (أنادي) أو (أدعو) أو (أُنبِّهُ) وأنْ يُحّذَفَ المنادى، ولمّا كان ذلك ممتنعاً عنده رأى أن يا خلصَتْ تنبيهاً.

أما باقي أدوات النداء التي لها صلة بالتنبيه فمنها : **أَيَا** ومعناها التنبيه ويُنادى بها، وتُستخدم لنداء البعيد والقريب…. والمبالغ في تنبيهه وندائه ، ولا يجوز حذفها وإبقاء المنادى، ومنها هيا : ومعناها التنبيه ، وقيل هي يا أُدخِلَ عليها هاء التنبيه مبالغة ، وليس ببعيد أن تكون أيا وهيا لغتين، مثل قولهم: أراقَ وهَرَاق. ومنها : **الهمزة** وتكون تنبيهاً وينادى بها القريب . وقد تُمَدُّ فيقال: ( آ ) وتكون تنبيهاً ونداء، ولا يخفى ما بين القيمة الصوتية لهذه الأدوات وأوجه استعمالها من مناسبة، فلا يمتد الصوتُ إلا بالمقدار الذي يتنبه معه المنادى . وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن لأسلوب النداء صلة بالتنبيه، وندرك أهمية التنبيه في النداء إذا علمنا أن النداء شيء من لوازم العربية الأصيلة، وهو ألصق ما يكون بالأدب الوجداني ، تقرؤه في الرثاء والنسيب، ومواطن أخرى .

كذلك، إن مَنْ يبحث عن أسلوب النداء في القرآن الكريم يجد أنه يكثر كثرةً لافتة، من ذلك قوله: " يابنيَّ اركبْ معنا " . وقوله : "يوسف أيُّها الصِّديقُ أَفْتِنا" وقوله : "يا أبتِ لا تعبدِ الشيطان" ولا ريب في أنّ هذه الكثرة تفتح الباب لقول مستفيض، يضيق المجال عن الخوض فيه، غير أنني سوف أشير إلى بعض طرق النداء، بغية الكشف عن جوانب التنبيه فيها.

يذكر الزمخشري بإسناد إلى عبدالله بن مسعود أن قوله تعالى : "أيها الناس" منبهة على المكي من الآيات، وأن قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" منبهة على المدني منها " . والتدقيق في هذين الأسلوبين يدل على أن ( يا أيها الناس خطاب عام ، و( يا أيها الذين آمنوا ) ، ويا عبادي أخص منهما ، ويا أيها النبي ، ويا أيها الرسول هما خاص الخاص .

كما يتصف النداء بـ "يا أيها الذين آمنوا " بخصوصية، وهذه الخصوصية آتية من جهتين، أما الأولى فإن التنبيه في هذا النهج، هو تنبيه مؤكد، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك بقوله " وكلمة التنبيه { يريد: (ها) } المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين؛ معاضدة حرف النداء، ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أيُّ من الإضافة". كذلك يشير الشيخ خالد الأزهري (ت 905) إلى التوكيد في ها (يا أيها) بقوله : " وفي ها التنبيهية مبالغة وتأكيد" وأما الجهة الثانية فإن هذا النهج من النداء يأتي لينبِّهَ على أمور عظيمة تليه ، وهذا أما أشار إليه بعض أهل العلم، روي عن الحسن البصري (ت 110هـ) قوله :"إذ سمعتَ الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعِ لها سمعَك، فإنها لأمر تُؤْمَرُ به، أو لنهي تُنهى عنه" ، ثم جاء الزمخشري ليفصّل القول في هذا فيقول: "فإن قلت : لَم كثر في كتاب الله النداءُ على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلتُ: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده – مِنْ أوامره، ونواهيه، وزواجره، ووعده، ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، مما أنطق الله به كتابه – أمورٌ عظامٌ وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت أن ينادوا بالآكد الأبلغ ." .

وصفوة القول في هذه الطريقة من النداء أن درجة التنبيه فيها عالية تتناسب وأهمية ما يليها من ذكر لأمور لا ينبغي للإنسان أن يغفل عنها. ولكن ليس معنى هذا أن النداء يكون وقفًا للتنبيه فحسب ، بل إن فيه أموراً أخرى لا تقل أهمية عن التنبيه ، منها ما أدركه جعفر الصادق (ت 148 هـ) حين قال: "لذَّةُ ما في النداء، إزالة تعب العبادة والعناء." .

التنبيه في الدعاء :

يأتي الدعاء بمعنى توحيد الله والثناء عليه، ومسألة الله العفو والرحمة، ومسألة الحظ من الدنيا، وهو بمعنى آخر استغاثة وعبادة، وصلته بالتنبيه تُلاحظ في كثرة وجود أدوات التنبيه فيه، سواء أكانت حروف نداء أم غير ذلك من أدوات التنبيه من مثل (أَلا)، كما تُلاحظ في أنّ المتكلم ينبه بعبارات الدعاء إلى فضل المذكور.

وعبارات الدعاء المشتملة على التنبيه منها ما يدعو بخير، نحو: ربنَّا لك الحمد، اللهم اغفر لنا، وضمن هذا تأتي ألفاظ التصلية والتسليم والرضوان على النبيين والأولياء، وسائر الصالحين. ومنها ما يدعو بشرٍّ كقوله تعالى : "ألا بُعْداً لثمودَ" . وإذا كان يصح القول: إن التنبيه يفترض وجود الغفلة في المنبَّه، فإن هذا لا يصح في الأدعية التي نتوجه بها إلى الخالق، من مثل: يالله أعنا، ويا مالك الملك أعزنا، و يا ربّ اغفر لنا، فلا يجوز أن يقال في هذا إنه تنبيه للمدعو كما تقدم "ولكنه أُخرج مخرج التنبيه، ومعناه الدعاء لله عز وجل ليُقبل عليك بالخير الذي تطلبه منه، والذي حسَّنَ إخراجه مخرج التنبيه، البيانُ عن حاجة الداعي إلى إقبال المدعو بما يطلبه، فقد وقف في ذلك موقف مَنْ كأنّه مغفول عنه، وإنْ لم يكن المدعو غافلاً." .

مما تقدم نستنتج أن للدعاء صلة بالتنبيه، ففيه تنبيه على فضل المذكور أو تنبيه على شرّه، كما تكثر في عباراته حروف التنبيه من نداء وغيرها، وأنّ بعض عبارات الدعاء لا يصح أن يقال إنّ فيها تنبيهاً، لكن الصحيح أن يقال: إنها أُخرجت مُخرج التنبيه.

التنبيه والإشارة :

يؤتى باسم الإشارة لدواع كثيرة، منها أنْ يقصد به التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير من أجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: " إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ." فاسم الإشارة (هذا) الذي يشار به إلى القريب، ينبه على عظمة القرآن، ويُؤذن بقربه قُرباً لا يحول من دون الانتفاع به، فالهادي قريب، وطرقه أقوم الطرق . ويرى بعض النحويين أن (ها) التنبيهية أثَّرت تأثيراً حاسماً في أسماء الإشارة، فغدتْ من المعارف بعد أنْ كانت من النكرات، "ذلك أن اسم الإشارة في أصل وضعه، إنما هو اسم مبهم لوقوعه على كل شيء من حيوان أو جماد، وهذا يفسِّر وجود حرف التنبيه في أسماء الإشارة، كي ينبه المتكلم المخاطَبَ حتى يلتفت إليه ، وينظر إلى أي شيء من الأشياء الحاضرة يشير، فغدت بذلك أسماء الإشارة معرفة، ولم تك كذلك قبل دخول حرف التنبيه ها" . ومعلوم أن أداة التنبيه (ها) تدخل على هذا، وهذه، وهذان، وهاتان، وهؤلاء من أسماء الإشارة، ويلاحظ أن دخولها يختص بالذي يدل على القريب من أسماء الإشارة دون الذي يشار به إلى البعيد، وهذا يفسر خلو اسم الإشارة من (ها) إن اتصلت به لام البعد كما في قوله تعالى: "ذلك الكتابُ لا ريب فيه هُدىً للمتقين". وقد أومأ ابن هشام إلى شيء من هذا حين قال: "ها التنبيهية تدخل على الإشارة غير المختصة بالبعيد، بخلاف ثَمَّ، وهَنّا، بالتشديد، وهنالك" .

وتدخل (ها) على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة، كقوله: "ها أنتم أُولاء " ، فالضمير (أنتم) فصل بين (ها) واسم الإشارة، كما يجوز الفصل بـ إنْ الزائدة كقول النابغة :

**ها إنْ تا عُذْرَةٌ إنْ لم تكن نفَعَت فإنَّ صاحبها قَدْ تَاه في البَلَدِ**

وتدخل أيضاً على أيّ في النداء نحو: يا أيها الرجل، ولو حُذف حرف التنبيه فقلت: أيُّ الرجل، لأوهم أنك مستفهم. وتدخل على اسم الله في القسم عند حذف الحرف، يقال: ها اللّه، بقطع الهمزة ووصلها. وتدخل على أول الكلام نحو: ها إنّ أخاك قادم.

ما تقدم يدل على أن التنبيه ذو صلة وثيقة بأسماء الإشارة الدالة على القريب وقد اعتلوا لخلو أسماء الإشارة الدالة على البعيد من (ها) التنبيهية بتفادي كثرة الزيادات، ففي (ذلك) و (تلك) اللام والكاف زائدتان، فلو جاز وجودهما مع زيادة الهاء في أول الكلمة لكثرت الزيادات كثرة تثقل الكلمة ، ولا أدري كيف يصح هذا الاعتلال في ثَمَّ التي يقول فيها إبن هشام: " ثَمَّ اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو: (وأزلفنا ثَمّ الآخرين)" . وهو ظرف لا يتصرف … ولا يتقدمه حرف تنبيه " فلا يخفى أنْ لا زيادة فيه ، ولعل أغرب من هذا ما ذهب إليه الجوهري من أنهم جعلوا اللام في نحو (ذلك) عوضاً عن (ها) التنبيهية .

التنبيه في التوكيد:

يفيد التوكيد معاني متعددة، منها التقرير ودفع الشك أو الغفلة….. كذلك تتعدد الطرق التي

تشتمل على التوكيد، يعنينا من هذه وتلك ما يكشف عما في التوكيد من تنبيه، وأبرز ما استوقفنا: اجتماع حرفي تنبيه أو أكثر، والتكرير.

إن دخول حرف التنبيه على مماثله في معناه، هو نوع من توكيد التنبيه وكلام العرب ينطوي على جمل من هذا القبيل، كما في اجتماع (يا) و (ها) في نحو: يا أيها الرجل، وقد لاحظ سيبويه هذا فقال: "….. ولا يكون هذا في غير النداء، لأنهم جعلوها تنبيهاً بمنزلة (يا) وأكدوا التنبيه بـ (ها)ً إذن التنبيه مؤكد لاجتماع حرفين، أو لنقل بعبارة أخرى إن (ها) تعضد حرف النداء وتؤكد معناه. .

ودخول (ألا) على (يا) هو من هذا القبيل أيضاً، وهذه الطريقة تكثر في كلام العرب، كقوله :

**ألا يا ابن الذين فَنوُا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى**

وقول الآخر:

**ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هجتِ مِنْ نَجْدِ فقد زادني مسراكِ وَجْداً على وَجْدِ**

وقد فسر أبو حيان (ت 574هـ) هذه الطريقة مشيراً إلى التنبيه والتوكيد فيها بقوله: "ويا في تلك التراكيب السابقة حرف تنبيه أكدته (ألا) التي للتنبيه، جاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التأكيد " . كما وردت في تمثيل العلماء (ألا يا هؤلاء) وفيه اجتمعت ثلاث أدوات تنبيه هي: (ألا) و (يا) و (ها).

والتكرير يراد به أن تزيل عن السامع كلّ غفلة ، ليكون منتبهاً للذي تكرر، ويكثر في أسلوب الإغراء والتحذير، وقد اشتمل القرآن الكريم على أساليب من التكرير نعرض لبعضها فيما يأتي

- كُرِّرَ في سورة الرحمن قوله تعالى "فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان" وهذه الآية من أبرز ما في القرآن من التكرير الدال على التنبيه، وقد جاء هذا التكرير مراعياً لمقتضى أحوال المخاطبين، ذلك أن هذه الآية عُنيت بخطاب المكذبين من الثقلين، ولا شك في أنهم بحاجة إلى شدة في درجة التنبيه تتناسب وما هم فيه من غفلة التكذيب .

- معروف أن القرآن الكريم ذكر في فواتح السور حروفاً مقطعة مثل (الم، الر، كهيعص)، ولم يقتصر ذكرها على سورة واحدة، بل جاءت مفرقة في غير موضع، وقد أُوِّل تكريرها على أنه تنبيه على غرض معين، وهو إعادة التنبيه على أن القرآن المعجز مؤلف منها لا غير، وذكرها في غير موضع واحد، أوصل إلى الغرض، وأقرُّ في الأسماع والقلوب" .

- وكُرر في سورة القمر قوله تعالى: "فذوقوا عَذابي ونُذُرِ" وهذا التكرير أُوِّل على أن فيه تنبيهاً، ذلك أن الآية التي يُجدَّدُ ذكرُها عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين يُهدف منها إلى استئناف التنبيه والتيقظ لدى المتلقي، ودفع الغفلة، واستبعاد السهو. .

- كذلك إن من التكرير الدال على التنبيه قوله تعالى: "كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون، كلا لو تعلمون علم اليقين…" فقد جاءت كلا لتفيد الردع والتنبيه على أنه لا ينبغي للمرء أن تكون الدنيا جميع همه، وقوله: (سوف تعلمون) إنذار ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم، وقوله " ثم كلا سوف تعلمون" تكرير لتأكيد الردع والإنذار، وأهل البلاغة يقولون: إنّ وجود (ثم) يدل على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما يقال للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل كذلك إن في قوله "كلا لو تعلمون… "تكريراً للتنبيه أيضاً. وإن تنبيه القرآن يتصف بأنه إنذاري، وقائي، ظاهره الهدى، وباطنه الرحمة، فهو يسبق اليوم الذي يجعل الولدان شِيباً.

- وقد يأتي التكرير لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزِّل هذه المنزلة وتكون غاية المرسِل تنبيه المخاطَب على أمر معين، من ذلك قوله تعالى: "لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون" ، فـ" هذا تنبيه للناس، وإيذان للناس لفرط غفلتهم، وقلة فكرهم في العاقبة، وتهالكهم على إيثار العاجلة، واتّباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبونَ العظيم بين أصحابهما، وأنّ الفوز مع أصحاب الجنة، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه، كما تقول لمن يعقُّ أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة مَنْ لا يعرفه، فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البرَّ والتعطُّف". .

فغاية التكرار في مثل هذا التنبيه على خطأ أو غفلة بتذكير المخاطَب بأمر ثابت معلوم. ولعل مما يدخل في باب التوكيد والتنبيه ، الأساليب التي نلمح فيها زيادة الإيضاح كما في قوله تعالى: " هوَ اللهُ الذي لا إله إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادة هو الرحمنُ الرحيمُ، هو الله لا اله إلا هو الملكُ القُدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبِّرُ، سبحان الله عمّا يُشركون، هو الله الخالقُ البارئُ المصوِّرُ له الأسماءُ الحسنى." فيمكن في غير القرآن أن يُستغنى عن الضمير (هو) ولكنه صُرِّح بذكره في الآية في عدة مواضع توكيداً وتنبيهاً وزيادة في الإيضاح، ليستقر في

النفس مرتبطاً بخبره.

وهكذا نرى أن التنبيه يتبدى في التوكيد الناتج عن اجتماع حرفي تنبيه أو أكثر، أو الناتج عن التكرير.

التنبيه والاستفهام :

لم يختلف أهل اللغة في دلالة (ألا) و (أما) على التنبيه في أحوال مخصوصة، لكنهم اختلفوا في كونها بسيطة أو مركبة، وممن قال بأنها بسيطة ابن مالك ، وممن قال بأنها مركبة الزمخشري ، وابن يعيش ، وابن هشام وهؤلاء يرون أن (ألا) مكونة من همزة الاستفهام ولا النافية، كذلك ( أمَا )، فهي مكونة من استفهام ونفي.

وإذا كان من الصعوبة بمكان القطع ببساطتها أو تركبها، فإنني أميل إلى التركيب، في (ألا) و (أما) لأنهما تشبهان (أليس) و (ألم) ولا خلاف في كون هاتين الأداتين مركبتين.

ويبدو أن التركيب يكسب الأداة – غالبا – معنى جديداً مستفاداً، فهذا ما يفهم مما ذُكر عن الخليل، قال سيبويه: "سألته عن "ألم تر أنَّ اللهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فتصبح الأرضُ مخضرةً ، فقال: هذا واجب، وهو تنبيه، كأنّك قلتَ: أتسمع أن الله أنزل من السماء، فكان كذا وكذا." فما أفهمه من هذا النص أن اجتماع الاستفهام والنفي جعل الأداة (ألم) تدل على التحقيق، وقد عبر عنه الخليل بكلمة (واجب)، وتدل على التنبيه ، ومثل هذا أشار إليه الزمخشري بقوله :

"ألا مركبة من همزة الاستفهام، وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً."

ومهما يكن من أمر فإنّ لـ (ألا) و (أمَا) اللتين تدلان على التنبيه بعض الخصائص، ورأيتُ من المناسب أن أشير إليها بما يأتي :

- تأتي (ألا ) في صدر الكلام شأن حروف التنبيه ما عدا (ها) التي تأتي في الصدر والحشو.

- وتُكْسَرُ (إنّ) بعد (ألا) وجوباً .

- ولا تدخل ( ألا ) إلا على الجمل، ومثلها أدوات التنبيه عدا (ها)، والجمل بعدها تكون مصدرة بما يُتلقى به القسم من مثل: إنّ، واللام، وحرف النفي، ومثل هذا يقال في (أَمَا)، غير أن (أَمَا) تأتي للحال، و (أَلاَ) تأتي للاستقبال، و(أَمَا) تكثر قبل القسم في حين تكثر (أَلا) قبل النداء.

وخلاصة القول : قد نتحصّل من اجتماع الاستفهام والنفي على أدوات يستفاد منها التنبيه والتحقيق . هذا ويمكن أن يكون السؤال بما فيه من استفهام فاتحة التنبيه على الغرض المراد، وما يستشهد به على هذا قوله تعالى : "وما تلك بيمينك يا موسى؟ " وإنما سأله ليريَهُ عِظَمَ ما يخترعه من الخشبة اليابسة من قلبها إلى حية نضناضة ، وفي هذا تنبيه على قدرة الله الباهرة، وليقرر في نفسه المباينةَ البعيدةَ بين المقلوب والمقلوب إليه . .

كذلك إن في قوله تعالى: "هل أتاك ". تفخيماً للحديث، وتنبيهاً على أنه ليس من علم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإنما عَرَفَهُ بالوحي

مادة (غفل) والتنبيه :

وردت في التنزيل مفردات كثيرة من مادة (غفل)، وهي في سياقاتها تدل على معان متعدد، فالغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ ، يقال : غَفَلَ فهو غافل ( المفردات ( غفل ) ، وأرض غفل : لا منار بها ، ورجل غُفْلٌ ، لم تَسَمْهُ التجارب ، وإغفال الكتاب ، تركه غيرَ مُعجم . ( المفردات غفل ) ، وقوله : ( مَنْ أغفلنا قلبه ) ( ) قيل معناه : من جعلناه غافلاً عن الحقائق . ( نفسه ) . لكن الذي يعنيني أن نقف عند معنيين اثنين منها لاعتقادي أنهما يتصلان بالتنبيه على نحو ما:

أما الأول: فإن العربية تدل على المعنى ليس بمفرداته المخصوصة فحسب، بل تدل أيضاً بكلمات ضدية نُفِيَ عنها معناها الأصلي، ودلت في وضعها الجديد على النقيض تماماً، فإذا أراد الخالق عز وجل أن يبيّن أنه متنبه للأعمال الخبيثة التي تصدر عمن حاد عن جادة الصواب من بني البشر، وأنه محصٍ لها، وحافظُها عليهم حتى يجازيَهم في الآخرة، ويخزيَهم في الدنيا، فإنه يعبر عن ذلك بقول: "وما اللهً بغافلٍ عما تعملون" ( البقرة / 74 ، أو بقوله: "وما ربك بغافل عما يعملون"،( واللفظ في البقرة 85 ، 140 ، 144 ، 149، وآل عمران 99 ، والأنعام 132 ، وهود 123،) ودلالة مفردات مادة (غفل) على التنبيه، ليست لأنها مسبوقة بنفي فحسب، بل لأنّ الباء الزائدة في الخبر المنفي (بغافل) تفيد توكيد المعنى وتقويته، ولأن هذه العبارات كررت – بعينها- في مواضع كثيرة من التنزيل ، وقد سبق أن عرفنا ما في التكرير من تنبيه وتوكيد.

وهذه المفردات أكثر ما تأتي بعد إخباره تعالى عما يرتكب الإنسان من شرور، وعما يقترف من آثام، كالقتل، والعدوان، والظلم، والإخراج من البيوت، واتّباع الهوى، والصد عن سبيل الله…كقوله تعالى واصفاً بني إسرائيل : (ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۢ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، كما تأتي هذه المفردات بعد ما يدل على أن مقاليد الأمور هي بيد الحي القيوم، كقوله في ختام سورة هود : " وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ولعله لا يخفى ما في هذا الخطاب من بنية عميقة للتنبيه؛ فأكثر الناس هم في غفلة، فهم بحاجة إلى تنبيه، وهم يخوضون في بحور من الآثام والشرور، وهم لهذا أحوج ما يكونون إلى التنبيه أيضاً ، وهم بذلك مقبلون على الجحيم معرضون عن النعيم، وهم جاهلون أو متجاهلون بأن الله متنبه لعباده تنبهاً لا تخفى معه عليه خافية، ثم إنه الرقيب الحسيب.

وأما المعنى الثاني:- فهو يتعلق بالإنس ويصح بالجن لأنهم مشمولون بالخطاب القرآني أيضاً، وما تظهره بعض الآيات أن كِفة الغفلة راجحة على كفة الانتباه، فهذا ما يفهم من قوله تعالى: "ولقد ذرأنا لجهنمَ كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضلّ، أولئك هم الغافلون" وإذا كانت بعض كتب اللغة تقول: "غفل الشيء: تركه، وسها عنه" وإذا كانت بعض كتب التفسير تقول: "أصل الغفلة عن الشيء: تركُهُ على وجه السهو عنه ،والنسيانِ له" فإن صورة الغافل ضمن السياق القرآني تتجاوز ما سبق ذكره، فهي صورة حية نابضة، تنزل الغافل منزلة هو أهل لها، وتتجاوز منه الظَاهر إلى الباطن، والمادي إلى المعنوي، فغدا الغافل – وقد عطّل حواسه ومداركه- مغايراً لبني جنسه من البشر، بل إنه ينحدر عنهم، ليشبه الأنعام، ويزيدها ضلالة، بجعله نفسه لغير ما خلقت له، أضف إلى هذا أن السياقات الأخرى التي ورد فيها ذكر الغافل تبرزه مكذباً، ظالماً، متكبراً، مُعرضاً عن آيات الله ومعجزاته ، قصيرَ النظر لأنّ علمَهُ مقتصر على ظواهر الدنيا ـ راضياً بالدنيا، مشغولاً بها…. وهكذا يتبين مما تقدم أن مفردات مادة (غفل) في القرآن تدل على التنبيه، ولا سيما عندما تكون مسبوقة بنفي، وعندما تصور الغافل على حال يغدو معها أحوج ما يكون إلى التنبيه، وإن كان ذلك لا يجدي فيه نفعاً لأّنه عطل حواسه ومداركه.

مادة (نذر) والتنبيه :

يرد الفعل أنذر بمعنى خوّف، وحذّر، والإنذار، الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف، والمنذِرُ: المُعْلِم والمُخَوِّف والمُحَذِّر. وأعتقد أن الدارس لا يحتاج إلى كبير عناء ليدلل على الصلة ما بين الإنذار والانتباه، بل إنّ الإنذار يتطلب أن يكون الانتباه في أعلى درجاته، وخاصة عندما يتعلق بجلائل الأمور وعظامها.

وتأتي مفردات هذه المادة لتدل على صحة ما سبق ذكره من أن وظيفة التنبيه تتجلى بوضوح في الخطاب الديني ولا سيما في لغة التنزيل، بل إن للتنبيه في القرآن دوراً مهماً، وليس مصادفة أن يكون في أول سورة "الفرقان" قوله تعالى: "تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً"، ويسترعي الاهتمام، ويلفت الانتباه وفرة مفردات هذه المادة في لغة التنزيل، فقد ذكرت فيما يقرب من خمسين سورة وتلك المفردات منها ما يؤكد أنّ الإنذار هو هدف القرآن وغايته وسداه ولحمته، كقوله تعالى على لسان نبيه: "وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به" ، "ومنها ما يبين أن الإنذار مهمة أولى للأنبياء، كقوله تعالى على لسان نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم: "وما أنا إلا نذير مبين." ، ومنها ما يبين أن الأنبياء والرسل كانوا منذرين في الأمم السابقة، ولكل نذيرها، فهذا ما يفهم من قوله تعالى: "إنا أرسلناكَ بالحقِّ بشيراً ونذيراً، وإن منْ أمةٍِ إلا خلا فيها نذِير" ، لهذا يذهب بعضهم إلى أنّ آثار النذارة باقية في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وتفيد بعض الآيات بأن من الأمم مَنْ كانَ يلح في طلب النذير، لأنّ هدايتهم مقرونة بوجوده، قال تعالى: "وأقسَموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءهم نذيرٌ ليكوننَّ أهدى مِنْ إِحدى الأُممِ، فلّما جاءَهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفوراً" فهؤلاء الذين اشترطوا لهدايتهم وجود المنذر بالغوا في إعراضهم وصدّهم عندما تحقق لهم ما أرادوا.

مما تقدم يبين أن انتباه الناس إزاء الإنذار والمنذر ليس واحداً، ذلك أن الكثرة منهم لا يجدي فيهم إنذار، ولا ينفع فيهم نذير، وهذا ما يدل عليه أيضاً قوله تعالى: " لَقَد حَقَّ القولُ على أكثرهم فهم لا يؤمنون" وعدم إيمانهم ناتج عن أن النذر لم تُجْدِ فيهم نفعاً": "وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنْذرهم لايؤمنون".

أما صفات مَنْ يتلقى الإنذار بالقبول والرضى- وهم القلة – فهم أولئك الذين تملأ الخشية قلوبهم،

فضلاً عن أنهم يسترشدون بنور القرآن "إنما تُنْذِرُ الذين يخشون ربَّهم بالغيب، وأقاموا الصلاة، وَمَن تزكّى فإنما يتزكى لنفسه، وإلى الله المصير" .

وأولئك الذين لم ينفع فيهم الإنذار هم أنفسهم الغافلون، وهذا يفسِّر أن تكون الكثرة صفة في هؤلاء وأولئك ، فإذا كنا قد عرفنا أن الغافل مَنْ عطّل مداركه وحواسه، فإن الذين أعرضوا عن الإنذار قد عطلوا أجهزة الاستقبال فيهم، قال تعالى: "قُلْ إنما أُنذرُ بالوحي، ولا يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا ما يُنذرون" .

ولعل مما يجعل الانتباه المرافق للإنذار أشدَّ، اقتران الإنذار بشيء مخوف، كما في قوله تعالى: فإن أعرضوا فقُلْ أنذرتكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ" وقوله: "فأنذرتكم ناراً تلظى" ، وقوله :"إنا أنذرناكم عذاباً قريباً". ، فالعذاب ليس كله آجلاً، بل منه العاجل، ومنه ما أصاب بعض الأمم الخالية التي لم تكن تأبه بالإنذار، لم تكن تبالي بما يمكن أن يحيط بها، والتي كانت تكذب بآيات الله، وتُعْرِض عنها، فقوم نوحٍ أغرقوا بماء منهمر، وعاد أخذت بريح صرصر عاتية، وثمود أهلكت بالصيحة، وهي صوت مهلك من السماء، وقوم لوط بادوا بريح عاصفة ترميهم بالحصباء ، ويلاحظ تكرار قوله تعالى: "فكيف كان عذابي ونّذرِ "بعد ذكره لما أحاق بكل أمة، وقد سبق أن بينا ما في هذا التكرير من تنبيه.

وهكذا يتبين لنا أن مفردات مادة (نذر) ذات صلة بالتنبيه، لأن المنذَر يفترض أن يكون في أعلى درجات انتباهه، لاقتران الإنذار بالخوف، كما أن مفردات هذه المادة كثرتْ كثرةً لافتة استدلّ بها على أن وظيفة التنبيه تضطلع بدور هام في الخطاب الديني.

تناولت في هذا البحث بعض القضايا التي يمكن أن تندرج ضمن وظيفة التنبيه، وكان ذلك في ضوء من لغة التنزيل، و نخلص بعد هذا إلى النتائج الآتية :

1. جرى التعبير عن التنبيه بكلمات ضدية مسبوقة بنفي، ففي لغة التنزيل وجدنا أن مفردات مادة (غفل) تدل على التنبيه مثلما تدل عليها المفردات التي تتصل بهذا المعنى، وربما كانت أكثر دلالة.

2. للتنبيه في العربية مستويان، أحدهما ينصرف إلى التأثير في الحواس من سمع وإبصار… وثانيها ينصرف إلى التأثير في المدارك والقلوب.

3. تضطلع وظيفة التنبيه بدور مهم في الخطاب الديني، ولا سيما في القرآن

**المبحث العاشر**

اســم المفعــول

( من ظواهره الأسلوبية )

تمهيد :

عدد وافر من البحوث والدراسات المعاصرة تناول (الأسلوب) و (الأسلوبية) نشأة وتطورًا ، مفهومًا ومصطلحًا، روادًا ومدارس ، سماتٍ ومحدداتٍ ، وصلات بعلوم أخرى كالبلاغة وعلم اللغة والنقد الأدبي وعلم النفس وعلم الإحصاء ... و في الكتب المصنفة لهذه القضايا ما يغني عن إعادة القول فيها . ولعل مما يجدر ذكره مما له صلة بالقرآن الكريم ، وعلم الأسلوب والأسلوبية ما يلي :

١- احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني الهجري بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت - بالضرورة - ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول كلمة ( الأسلوب) عند الموازنة بين أسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب الخطاب. فقد كان لجهود أبي عبيدة (ت ١٠5هـ) ، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت207 هـ) ، والفراء (ت 4١٠ هـ ) أثر في إثراء مفهوم الأسلوب على الرغم من تباين الأهداف التي سعوا إليها.

2- ثمة خصوصية في أسلوب القرآن الكريم لا يمكن تجاهلها ؛ فهذا الكتاب العربي المبين ، الذي أحكمت آياته... صدر عن تصور كلي باللغة متجاوز. وهذا لا يتاح للبشر في نصوصهم التي صدرت عن تصور جزئي مما يدعوهم لمعاودتها تغييرًا وتطويرًا كلما سنحت الفرصة لهم بذلك.

3- ثمة هدف محوري كلي مبثوث في القرآن كله ؛ ذلك ( أن جملة ما في القرآن من مختلف المواضيع والمعاني الجزئية ، إنما يدور جميعه على معنى كلي واحد ، هو دعوة الناس أن يكونوا عبيدًا لله بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدًا بالجبر والاضطرار، وأن يدركوا أن أمامهم حياة ثانية بعد حياتهم هذه... فالقرآن شأنه أن يبث هذا المعنى الكلي الخطير من خلال جميع ما يعرضه من الأبحاث والمواضيع المختلفة من تشريع ، ووعد ووعيد ، وقصة ، وأمثلة ، ووصف ، وإنما يتحقق ذلك بهذا النسق الذي جرى عليه من التداخل والتمازج في المعاني ) .

4 - يتصف أسلوب القرآن الكريم بسمات أسلوبية منها : مجاوزة الأنماط السائدة في الحبك والسبك. والخصائص الإيقاعية والتركيبية والدلالية و الوجدانية. اقتصاد باللفظ ، ووفاء بالمعنى ، إقناع وإمتاع ، بيان وإجمال، تأثير في النفوس، وسلطان على القلوب ، استثمار الألفاظ القليلة للتعبير عن القضايا الكبرى ، احتمال النص لمعاني كثيرة ، واستحضار المشاهد ، وتجسيم الأحداث .

في ضوء هذا ستتم دراسة أسماء المفعول في القرآن الكريم في عموم سياقاتها التركيبية والدلالية و الإيقاعية... ومما تكشف لي في ضوء ما سبق القضايا الأسلوبية الآتية :

1) انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على النعيم المقيم.

2) انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم.

و فيما يلي بيان القول في هاتين الظاهرتين .

**1- انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على ( النعيم المقيم ):**

نعيم الجنة بوصفه جزءًا من المعنى الكلي الذي سبقت الإشارة إليه ، قدمه البيان الإلهي في مشاهد كثيرة بأسلوب من سماته : الجودة في السبك ، والإحكام في السرد ، والعذوبة في السياق ، والجمال في النظم ، ومخاطبة العقل والقلب ، والترابط في الأجزاء ، وتصوير المعاني في الذهن ، وإبرازها في مشاهد كأنها حاضرة ، والتأثير في الوجدان، والعامة والخاصة. في ضوء هذه السمات يمكن رصد أسماء المفعول في السياقات التي تتناول النعيم المقيم كما قدمته مشاهده المتعددة ، ومنها : أثاث الجنة ، وشرابها ، وثمارها ، وإنسانها :

أما ما جاء صفة في الأثاث الفاخر المريح المُرتب الجميل ، فمنه: سرر أهل الجنة التي وُصفت بأنها (مصفوفة ) ؛ أي جعلت على خطوط مستويـة ، و ( مرفوعة ) ، والرفع يقال في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها وتارة في المنزلة إذا شرفتها وأفضل السّرر ما كان مرفوعًا ، و(موضونة ) بمعنى مُحْكَمَة بعضها في بعض ؛ أو مُشبّكَة بالذهب. أو كالفرّش التي وصفت بأنها (مرفوعة) أي :شريفة وكالزرابي، وهي البسط ، أو الطنافس التي لها خمل رقيق - التي وُصفت بأنها (مبثوثة) بمعنى مبسوطة ، أو مفرقة في المجالس لمن أراد الجلوس عليها

وهكذا نرى أن أسماء المفعول جاءت ضمن سياقات لغوية فنية جمالية تواصلية ؛ الصورة كانت بصرية لكنها تخترق الحدود المرئية ؛بدا فيها التصوير السيمولوجي أي الصورة الأيقونة ؛ (السرر، البسط ، الوسائد) أكثر ظهورًا. والوصف الذي تحمله أسماء المفعول أضفي على الأيقونة جمالًا ظاهرًا ؛ اصطفافًا ، وزينةً، ورفاهةً , والوصف (مرفوعة) بمعنى شريفة فيه جمال كامن متجذر، و كذلك فيه مجاوزة للمعنى المعجمي إلى رحاب اللغة السياقية. واسم المفعول لغةً وصورةً وجمالاً وفنًا يشكل قيمة تواصلية تأثيرية ، هدفها المتلقي بوصفه في جوهره كائنًا عاطفيًا قبل أي شيء آخر. والصورة الجميلة تفعل فعلها فيه ، وإن بدت متخيَّلة .

أما شرابها فقد وصف بأنه مـن رحيق (مختوم) ؛ " تَختَمُ أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك " وقال الراغب : ( ليس ذلك معناه ، وإنما معناه : منقطعُهُ وخاتمة شرابِهِ أي : سُؤرهُ في الطيب مسكٌ... ولا ينفعه طِيْبُ خاتّمه ما لم يَطِبْ في نفسه " ، فشراب أهل الجنة يتجاوز أن يكون لدفع غائلة العطش إلى أن يكون لذة للشاربين ، فهو بهذا يطمئن حاسة أخرى في الإنسان وهي حاسة التذوق التي تغدو هانئة بما نالت ، وأين هذا من الشراب الذي يشوي الوجوه ، ويقطع الأمعاء. وأواني الشرب أكواب (مَوْضُوعَة) بين أيديهم ، أو على حافات العيون الجاريات ، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى . والسياقات التي ورد فيها ذكر الأكواب تذكر أن في الأكواب ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، ليس في محتواها فحسب بل في شكلها أيضا. ومعلوم أن ما يطمئن غير حاسة يشتمل على قدر أكبر من السعادة والهناءة. وهذا مما عني به الخطاب القرآني في القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة الفاعلة. وأما (فواكهها ) الكثيرة، فقد وصفت بأنها (لا مقطوعة ولا ممنوعة ) وطلحها بأنه (منضود ) أي: مُلقى بعضُه على بعض، وسـدرها بآنــه (مَخضود) أي: مكسور الشوك. وفهم دلالة فواكه الجنة إنما يتبدى في السياقات القرآنية التي ذُكرت فيها: فهي دائمة ، متاحة ، كثيرة ، متنوعة، أمنة ، مُشتهاة ، تؤكل تلذذا لا لحفظ صحة . وأسماء المفعول لها إسهامها من هذه القيمة الأدائية البلاغية في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي.

وأما أهل الجنة من البشر، فمنهم (المقربون) ، وهي مكانة عالية بدليل أنها أطلقت على أهل

الحظوة من الملائكة والأنبياء ؛ فقد كان عيسى عليه السلام (وجيهًا في الدنيا والآخرة ومِن المقريين ) وجْعِلت تسنيمُ ( عَيّنا يشرب بها المقربون ) والنساء فيها ( كأنهن بَيْضْ مُكنون) ، والكِنٌ ما يحفظ فيه الشيء (وَلَهُمْ فيه أزواج مُطَهرَة ) , أي: مطهرات من درن الدنيا وأنجاسها . ومن يقوم على خدمة أهل الجنة غلمانٌ لهم (كأْنَهُمْ لؤلؤ مكنون ) من " النضارة والصباحة والصيانة " وفي آية أخرى وصفهم الله بقوله: «إذا رأيتهم حَسبتهم لؤلؤًا منثورًا " أي :" تحسبهم من حسنهم وبياض وجوههم وكثرتهم لؤلؤًا مبددًا ) ، واللؤلؤ إذا نثرَ على بساط كان أحسن منه منظومًا . وقد يتم التعبير باسم المفعول عن أمور معنوية كقوله تعالى : (أولئك في جنات مُكرّمُون ) , والإكرامٌ :هو أن يُوصل إلى الإنسان نفع لا يلحقه فيه غضاضة ، أو أن يجعل ما يُوصل إليه شينًا كريمًا؛ أي شريفا ، فكيف إذا كان المكرمٌ هو الله عز وجلَّ ، وإذا وصف تعالى بالكرم ؛ فهو اسم لإحسانه وإنعامه المُتظاهر .

و هكذا نرى أن أسماء المفعول حملت قيمًا إخبارية ذات أبعاد دلالية وتعبيرية وتأثيرية ، هدفها إنسان الدنيا وإن كان الحديث عن إنسان الجنة بما اتصف من : قُرب؛ وحفظ وطهارة ونضارة وصباحة وحسن و إكرام. وبذلك تصبح اللغة مفردات وتراكيب حاملة لمضمون مشحون دلاليا يجعل المتلقي يتأثر به .

ولو مضينا في سرد المواضع التي جاء فيها اسم المفعول في وصف مشاهد النعيم المقيم ، لطال بنا المقام ، لكن لا يد من ذكر بعص الملحوظات التي تفيد في مقاريه ما نحن فيهه وهي :

\*- أن أسماء المفعول انتظمت في ظاهرة أسلوبية فدلت على مشاهد من النعيم المقيم أثاثا وشرابا وفاكهة وإنسانًا ، وكانت مشحونة بصفات حسية ومعنوية تتجاوز المعهود من مثيلاتها في الحياة الدنيا.

\*- جاءت أسماء المفعول مشحونة بقيم إخبارية ، إبلاغيه ، تعبيرية ، تأثيرية.

\*- لا شك في أن اسم المفعول في جانبه الأدائي التعبيري يشترك مع الفعل المبني للمجهول في (الإبهام ) فمشاهد النعيم المقيم فوق التصور؛ ففيها مالا عير رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والقرآن الكريم يتحدث عن مَثَلِ الجنة ، فهي مبهمة لقدراتنا الإدراكية ، والتعبيرُ باسم المفعول فيه قدر من الإبهام تتم به محاكاة تلك المشاهد, يُعَزِز الإحساس بذلك القدر من الإبهام الآتي :

- مجِيءُ اسم المفعول صفة لموصوف نكرةٍ في الأعم الأغلب ، ومعلوم أن في النكرة إبهامًا سواء أكانت صفة ، أم موصوفًا.

- إن نعيم الجنــة مخلوق على هيئة معينة ليس مــن اليسير علينا أن ندرك أسرار تكوينها ؛ فنحنٌ مثلاً نعلم أن فواكه الدنيا تكون على أُمّاتها في أوقاتٍ دون أخرى ، أما فواكه الجنة فهي لا مقطوعة ولا ممنوعة ، أي : لا مقطوعة في أي وقت من الأوقات ؛ كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ، ولا ممنوعة ، أي : لا يْمَنعْ من أرادها بشوك ولا بُعْدٍ ولا حائط . وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان ، ولا ممنوعة بالأثمان . ونحن نعلم أن الظل هو الموضع الذي لم تصل إليه الشمس ، ولكن أنى لنا أن ندرك تأويل قوله: (وظلٍّ مَمْدُودِ ) في كون لا شمس فيه. . وعلى هذا فإن القرآن الكريم يقدم النعيم المقيمَ على سبيل التمثيل و التقريب.

- يختلف أهل التفسير في دلالات كثير مما يخص مشاهد اليوم الآخر، ولا سيما ما جاء مها بصيغة الفعل المبني للمجهول ، واسم المفعول ، كاختلافهم في قوله تعالى: ( وإذا البحار سجرت ) (والبحر المسجور) فقد قيل أضرم نارًا ، وقيل : غيضت مياهه. 0 و اختلفوا في قوله تعالى: ( وَأَنَهُم مفرطون ) فقيل: مخلفون متروكون في النار ، وقيل: منسيون مضيعون وقيل: مُعَجَّلون إلى النار، مَقدّمون إليها .

مما تقدم نرى أن اسم المفعول له إسهام غني في الدلالة على النعيم ، وتلك الجنة كما رّسَمَها القرآن : نعيمٌ مقيم, ولذة دائمة ، ومُتَعَةٌ لا تنفد وعلى هذا فإن دلالة هذه الصفات على الثبوت والاستقرار أمر لا يخفى. . وإذا كان اسم المفعول يشترك مع القمل المبني للمجهول في الدلالة ، فإنه اختلف عنه بأن احتفظ لنفسه بالدلالة على الثبوت والاستمرار، في مقابل احتفاظ الفعل بالدلالة على الحركة والتجدّد . وهذا الذي تقدم لا يعني بحال من الأحوال إغفال دور الصيغ الأخرى ، أو التقليل من وظيفتها التعبيرية في وصف نعيم الجنة ، فإذا كان القرآن قد وصف النساء في نعيم السابقين ، وهم أعلى الخلق ، بأنهن ( فيهن قاصرات الطرف) ، ووصفهن في نعيم أصحاب اليمين ، بأنهن : ( حورٌ مقصورات في الخيام ) . فإن الدكتور السامرائي يرى أن اسم الفاعل ( قاصرات ) أبلغ في الدلالة على النعيم المقيم من اسم المفعول (مقصورات ) .

وقد جاءت صيغة (فعيل) مشتملة على قيمة تعبيرية أكثر من (مفعول) في قوله

تعالى: ( فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس ) فقد " أقيم فَعِيّلٌ مقام مفعول لأنه أبلغ منه ، ولهذا لا يُقال لمن جـُـرح في أنملته جريح ، ويقال له : مجروح " . ومن هذا مُكسور وكسير ، ومقتول وقتيل ، ومحمودٌ وحميد ،ومكحول وكحيل . ومن هذا يتبين أن (فعيلًا) تفيد الشدة والمبالغة في الوصف ، وأن (مفعولاً) تدل على الشدَةٍ والضعف .

\*\*\*\* \*\*\*\*\* \*\*\*\*

**2 - انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على ( العذاب الأليم ) :**

كذلك فإن بعض أسماء المفعول قد انتظمت في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم في جهنم بوصفها مكانًا هو المأوى والمثوى ، ومِنْ تتبعِ السياق العام للخطاب القرآني تبين لي أن أهل العذاب المقيم هم - على ما تدل تلك السياقات - : الكافرون ، والمشركون ، والظالمون ، والمنافقون ، والمكذبون ، والفاسقون ، وأعداء الله ، ومن أحاطت به سيئاته....

والتصوير القرآني يُظهِرُ أنهم فيها مهانــون ، أشقيــاء ، كالحــون ، متخاصمون ، يلعن بعضهم بعضًا . ومما جاء من أسماء المفعول مما يسهم في تصوير عالم العذاب والشقاء والإهانة أن أهل هذا العالم ( ملعونون ) قيل : اللعن هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله تعالى عقوبة في الآخرة . وقيل: مطرودون ، منفيُون .

ولاريب أن استجلاء دلالة هذه الصفة في السياق العام للخطاب القرآني يفيد في مقاربة حقيقة الدلالة ؛ فاللعنة فيه إنما تحل على القاتلين ، و الكافرين ، والظالمين ، والمنافقين ، والكاذبين ، وناقضي المواثيق ، والذين يؤذون الرسول ، و الذين يقذفون المحصنات ... (أولئك الذين لَعنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَن اللَّهُ فلن تَجدَ لَهُ نصيرًا ) على هذا فإن النظرة المتكاملة إلى السياقين العام لمـــادة ( لعن ) ، والسياق الخاص لـ (ملعونين) تدل على قيمة تعبيرية إيحائية تتجلى التكثيف الكامن في هذه الصفة (ملعونين ). و أصحاب النار (مَحُجوبون ) عن ربِّهم ، وأهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى الحجاب ؛ قيل : هو ما يَمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وهي رؤية الخالق عز وجل ، وقيل: لا يرونه , والله لا يراه إنسان ولكن الحجب هنا معنوي مجسَّمٌ . كما وصف أهلها بأنهم من (المقبوحين ) وهي صفة فيها إيحاء جعل أهل التأويل يقولون : أي من الموسومين بحالة مَنْكَرَةٍ ، وذلك إشارة إلى ما وَصف الله تعالى به الكفار من الرجاسة والنجاسة ، ومن سحبهم بالأغلال , يقال : قَبَحَهُ الله عن الخير، أي نحَّاه. وقال ابن عباس : من المُشُوّهين في الخلقة بسواد الوجه ، وزرقة العيون . و يلاحظ أن القرآن لم يستعمل من مـــادة

(قبح) إلا هذه الصفة .

وقد يعبر باسم المفعول عن عقوبات متدرجة مضاعفة من المهانة التي تصيب مَنْ جزاؤه النار فهو يُلقى فيها: ( ملومًا مدحورًا) ويصلاها : (مذمومًا مدحورًا ) ، فمضاعفة المهانة ، أوحت بها مضاعفة الصفات ، وإن كانت شدة المهانة متقاو ته نسبيًا ؛ فذكر اللوم تنيبه على أنه إذا لم يُلَمْ لم يفعل فيه ما فوقه ؛ من الذمّ على ما أضاع من عهده ، ومن الدحر: بمعنى الطرد والإبعاد ، ومن تكبيل كثير منهم بالقيود : ( وآخرين مُقرنِينَ في الأصفادٍ ) . و قيل : مذمومًا في نعمة الله ، مدحور! في نقمة الله ، وقيل : مَلُومًا في عبادة الله مدحورًا في النار . فالتدرج وفق تزايد الشدة يكون: اللوم ، فالذم ، فالدحر . ويلاحظ أن الخطاب القرآني قد اكتفى من هذه المواد بأسماء المفعول فقط .

والنار بوصفها مكانًا يضيف إلى العذاب عناصر أخرى تعزز الألم والمهانة ؛ ذلك أن عليهم نارًا (مؤصدة ) أي : مغلقة مطبقة ؛ فلا ضوء فيها ، ولا فرج ، ولا خروج منها , وإذا كانت مؤصدة قد قرئت بتخفيف الهمز وتحقيقه ، وهما لغتان ، فإن اختيار الهمز له دلالته ؛ ذلك أن الهمزة حرف تفيل شديد وهو أثقل من الواو فاختيار الهمزة يناسب ثِقَلَ ذلك اليوم وصعوبته ، وشدته ؛ فإذا قال الشخص: (مؤ) كان كأنه يُعاني من أمر ثقيل.

وقد ذكر في أول سورة ة (الهُمزة): (ويل لكل هْمَزةٍ لمَزة ) فدعا عليهم بالهلاك الذي لا ينقطع ، ورفْعٌ الويل يُفيد الثبوت ، فناسب الدلالة على الدوام أن يقول: ( إنهًا عَلَيْهم مؤصدة فِي عمد ممددة ) , للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب .

صفوة القول :

- اضطلعت أسماء المفعول بقيم متعددة ، إبلاغيه ، تنبيهية ، إنذارية ، هدفها أهل الدنيا وإن كانت الأحداث تخص أهل الآخرة.

- سياق بعض أسماء المفعول الخاص يكثف السياق العام ، ويترابط معه ؛ كما في (ملعونين) ؛ وبعضها الآخر اقتصر في استعماله على سياق خاص ولا عام له ، كما في (ملومًا ومذمومًا ومدحورًا ) فلم يرد من موادها شيء.

- تضافرت عناصر المتخيل والمنظور للدخول إلى عمق الأشياء والقيم المعنوية للكشف عما تعجز الحواس عنه.

- يمكن ربط دلالات أسماء بغير غرض من أغراض التعبير: منها أن اسم المفعول بما في بعضه من دلالة على الثبوت يتناسب مع العذاب المقيم الذي خُص به أهل النار؛ قال تعالى:(هِي حَسبهُمْ وَلَعنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابْ مُقِيمٌ ) ، ومنها أنه جرى طَيُ ذ كر الفاعل حين استخدام اسم المفعول ربما للعلم به كما في (ملعونين ) لأن الفاعل صرح به في مواضع أخرى كما في قوله تعالى : { إنَّ اللهَ لعنَ الكافرين وأعدَّ لهم سعيرأ } . وربما طُوِي ذكر الفاعل للإبهام كمــا الحــال مــع ( المحجوبين ، والمقبوحين ) .، بدليل أن كيفية الحجب ليست معلومة ، وأن حال المقبوحين ليست واضحة في أذهان المفسرين وربما طوي ذكرُهُ للدلالة على التعميم كما في (ملوم ) ، فقد يقع اللوم من الله عز وجل ، ومن خزنة النار ، ومن الملومين أنفسهم ... ومن غيرهم .

- وربما طُوي ذكرُهُ مع أحداث العذاب والنقمـة والغضب كمـا عـرفنا من قبل في قوله : {غير

المغضوب عليهم } ، وهذه ظاهـرة أسلوبية فُسِّر بها طي ذكـر الفاعل في كثير من الأفعال التي جاءت مبنية للمجهول ؛ ومنها : { أن يُفْعَلَ بها فاقرة } ، ولم يقل ( أن نفعل بها) بإسناد الفعل إلى ذاته العلية ، لأنه لم يرد أن ينسب إيقاع هذه الكارثة ، وهذا الشرَّ المستطيرَ إلى نفسه كما هو شأن كثير من التعبيرات التي لا يَنْسبُ اللهُ السوءَ إلى ذاته العليّةِ .

مما تقدم يتضح أن اسم المفعول له في التعبير القرآني إسهامــه الغني المؤثر في تقديم مشاهد العذاب المقيم الأليم ، كي يكون في ذلك عظة وعبرة وإنذارٌ لمـن أراد أن يقي نفسه و أهليه نارًا وقودها الناس و الحجارة .

تمَّ المقرر